الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
المرجع : .....

الأنساق الثقافية في شعر محمد الصالح خبشاش

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالب:
* عبدالجليل بن قريط

إشراف
الأستاذة:
نادية بوفنغور

السنة الجامعية: 2025/2024

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا

شكر وتقدير

قال تعالى : " **ولَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدنّكُمْ** "

إنّ الشكر صفة حميدة لدى البشر يزينها العرفان بفضل الله والناس بعضهم ببعض ؛ فالشكر الأول والأخير **لله** تعالى الذي وهبنا القدرة والصبر على إنجاز هذا العمل نعم من نتوكل عليه ونعم المولى والنصير.

لذا يطيب لنا ويشّرفنا التوجه بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها ونصائحها القيّمة

الأستاذة المشرفة " **د. نادية بوفنغور**".

إلى كل من ساهم من بعيد

أو من قريب في إنجاز هذا البحث.

عبدالجليل

مـقـدمـة

مـقـدمـــــة :

شهدت فترة العشرينيات هزّات قويَّة وعنيفة ، تمثلت في فتح باب الصِّراع ، والنِّزاع ضد مستعمر سافر؛ أراد طمس الهوية الجزائرية ، والقضاء على ثوابت الأمَّة ، لكنَّه وجد من يقف متحدٌّيا صامدا، كالسِّياسي، والأديب ، وحتى الشَّاعر، وخير مثال على ذلك الشَّاعر الجزائري محمد الصالح خبشاش صاحب السَّجية الشِّعرية ، والثراء الأدبي ؛ إذ ساهم بشاعريته ليعبِّر عن هموم أبناء وطنه بكلُّ صدق ، وإخلاص فقلب الموازين ، وزعزع كِيَّان المستعمر ، ممَّا وَلَّدَ رُوحا ثائرة، وزفرة هائجة امتدت إليه دونما خوف أو وجل، فأربكت مزاعمه وأفشلت خططه الجهنَّمية باتُّخاذ سبيل الاصلاح والتصحيح، سُخّرت لذلك قريحة معبَّأة بقيم ومبادئ الحركة الإصلاحية الباديسية، ساهمت في تكوين شخصيته، وإعدادها لهذا اليوم المشهود، فكان له ذلك في قالب شعري بنصوص جسَّدت أهم الوقائع الثّقافية متجاوزة الَّنبرة الجمالية الفنيّة، فكانت مهمَّتنا هي البحث عن الأنساق الثقافية المضمرة بين ثنايا النّصوص الشّعرية للشَّاعر.

ومن هذا المنطلق كان لنا الشّغف والميل إلى دراسة الشِّعر الجزائري من ناحية الأنساق الثَّقافية محاولة مِنّا التّغلغل في أعماقه ومضمراته ومحمولاته المختزنة داخله، واستخراج الأنساق بتعدّد توجهاتها وميولاتها.

أمَّا عنوان هذه الدراسة فكان كما يلي :

" **الأنساق الثَّقافية في شعر محمد الصالح خبشاش** "

من الأسباب التي جعلتني أتحمَّس لاختيار هذا العنوان أذكر :

- الكشف عن مخبوءات الشّعر الجزائري المرافق للفترة الاستعمارية؛
- محاولة التّعرف على شخصية أدبية جزائرية ثائرة ؛ برزت في حقبة استعمارية همجيّة أبان فيها المستعمر عن نواياه الخبيثة المتمثلة في طمس مقومات الشّخصية الجزائرية.

كما أنّني حاولت وبقدر الإمكان أن أجمع أشعاره التي تعدّت الألف بيت، بمواضيعها المتباينة لأقوم بدراسة جزء منها وتحليلها بالوقوف على أهم المضمرات الثقافية المختزنة وراء البنيات الجمالية لها.

إنّ مثل هذا الشاعر الجزائري ، وبهذا الإنتاج الوافر من الأشعار غفل عنه الكثير من الباحثين والنقّاد في مجال الأدب، إلاّ الّنزر القليل من أشار إليه إشارات محتشمة لا تشفي الباحث ال عليل، مما دفعني – كباحث – إلى تقصّي ما تضمنته أشعاره وإبراز ما خَفي من دلالات ثقافية بثّها الشاعر عن قصد أو غفلة منه.

برز هذا الصوت الأدبي في الفترة الاستعمارية، حيث عبّر في أشعاره عن قضايا اجتماعية، وثقافية مهمّة ، لكن رغم قلّة الدراسات التي تناولت "الأنساق الثقافية" في أعماله بشكل مباشر، إلا أنّ هناك بعض الأبحاث التي تطرقت إلى جوانب من إنتاجه الأدبي أذكر منها :

- تحليل قصيدة (المرأة الجزائرية و الحجاب) ؛ إذ تناولت هذه الدراسة الحالة الاجتماعية للمرأة الجزائرية في ظلّ الاستعمار ، من خلال تحليل قصيدة خبشاش؛
- مقامات "زفرات القلوب" : ناقشت د. سميرة أنساعد في دراستها (مقامات زفرات القلوب لمحمد الصالح خبشاش) بين الطرح الإصلاحي والبوح الرومانسي، حيث سلطت الضّوء على الجوانب الإصلاحية والرومانسية في مقامات الشاعر؛
- أدب المقاومة : بحث بعنوان " أدب المقاومة عند الابراهيمي وصالح خبشاش.
- استعرض كمال لعور دور خبشاش في فن المقاومة.

هذه قائمة أهم الدراسات السّابقة، والتي ركّزت أكثر على الجوانب الأدبية والفكرية في إنتاج الشاعر.

ومنه أطرح الإشكالية التالية : " ما طبيعة الأنساق الثقافية في شعر محمد الصالح خبشاش؟ وكيف تساهم في بلورة رؤيته الفكرية والإصلاحية ضمن سياق تاريخي استعماري معقّد؟

وتندرج تحتها أسئلة فرعية وهي :

أ- ما أبرز الأنساق الثقافية التي يحملها شعر محمد الصالح خبشاش؟

ب- كيفُ وظّفت الأنساق الثقافية للتّعبير عن قضايا الإصلاح ، والهوية ، والمقاومة؟

ت- ما مدى تأثير السّياق الاستعماري على تشكيل الأنساق في شعره؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، اتّبعنا الخطة الآتية :

مقدمة، وفصلان وخاتمة، أجملت مختلف النتائج .

عمدت في الفصل الأول إلى البحث في ماهية الأنساق الثقافية : لذلك قمت بتحديد مفهوم النّسق والثقافة بالارتكاز على أهم تعريفات النقاد وآرائهم مع تبيين أهم أنواع النسق الثقافي، وشرح لآليات النَّقد الثقافي.

أما الفصل الثاني الذي اشتغل على الجانب التطبيقي وانفتح على تحليل قصائد محمد الصالح خبشاش: فعنونته بتجلُّيات الأنساق الثقافية في شعر محمد الصالح خبشاش؛ فقد تأسس على استخراج النسق الدّيني، ونسق المرأة ، ثم النّسق الاجتماعي، فالسّياسي.

وذيّلنا دراستنا هذه بخاتمة كانت عبارة عن إلمام موجز لأهم النتائج التي احتضنها المنجز التطبيقي.

وقد استعنت في هذا البحث على المنهج الّثقافي النّقدي وهو الأنسب للكشف عن الأنساق الثقافية مقارنين الأشعار في شعر محمد الصالح خبشاش، حيث أنّ شعره لا يقتصر على التعبير الفنّي فقط بل يتعداه إلى :

- الاشتباك مع قضايا الاستعمار والمقاومة؛
- يعكس صراع الهوية الثقافية والدينية؛
- يتناول موضوعات مثل المرأة، الوطن ، الدين، والوعي الجمعي.

أما عن أهم المراجع التي اقتضت الضرورة العلمية الانفتاح على محتواها، للإفادة عنها، فظهر في المجالين النظري والتطبيقي ما يلي:

- النّقد الثقافي : قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، للمؤلف عبدالله الغذامي.
- نقد ثقافي أم نقد أدبي؟ لعبدالله الغذامي، وعبد النبي اصطيّف.
- النّقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب لسمير خليل.
- النّسق الثقافي، قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، ليوسف عليمات.

في إشارتي إلى الصعوبات والعوائق التي واجهتني أثناء إنجازي لهذا البحث، فأحددها بـ:

- صعوبة الحصول على متنه الشعري الذي كان متواجدا في جريدة لم أتمكن من العثور عليها سواء ورقية كانت أم إلكترونية؛ وهي جريدة النّجاح ، السبب الذي جعلني استعين ببحث مقدّم لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية والدراسات القرآنية بعنوان : " الواقع الشعري في كتابات محمد الصالح خبشاش (مقاربة فنية) من إعداد الطالب: رابح طبجون، وتحت إشراف الأستاذ: د. محمد تاورتة.

وفي الأخير، لا يسعني إلاّ أن أقول : لا يشكُر الله من لا يشكر الناس، فمن أوجب الواجبات عليّ أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان لمن تحمّل عبء الإشراف على إنجاز هذا البحث تحفيزا وتوجيها ومتابعة إلى أن بزغ نوره واستوى على

سوقـه، تلكم هي أستاذتي الفاضلة المرابطة في محراب العلم والمعرفة : **الدكتورة / نادية بوفنغور**، أستاذة بالمركز الجامعي-ميلة .

ولأنّ كل جهد بشري ومهما حقّق من أهداف ، فمن دون شك يعتريه النّقصان، ولابد أن تطاله عوارض السهو والنّسيان، فإن وفقت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان: " أسأل الله العلي القدير أن يوفق كل طالب علم إلى مراده وهو وحده الهادي إلى سواء السبيل.

الفصل الأول

الأنساق الثقافية (دراسة المفاهيم)

1-الـــــنسق

2-الثقافـــــة

3-النقد الثقافي

- مفهوم النقد الثقافي
- نشأة وتطور النقد الثقافي

4-النسق الثقافي

- مفهوم النسق الثقافي
- أنواع الأنساق الثقافية

5-آليات النقد الثقافي

- الوظيفة النسقية
- المجاز (الكلي)
- التورية الثقافية
- الدلالة النسقية
- الجملة الثقافية
- المؤلف المزدوج

1-النسق :

1-1-مفهوم النسق (لغة اصطلاحا)

أ- **لغة :** أدركنا بعد نظرة شاملة وثاقبة في المعاجم العربية القديمة أن المفهوم اللغوي لكلمة النسق يتحدد بـ " ما كان على طريقة نظام واحد، عام في الأشياء، نسق الشيء ينسقه نسقا وقد نسقته تنسيقا، ونسّقه نظّمه على السواء والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعده جرى مجرى واحدا"[1] وعليه فالنسق بمعنى المتابعة والعطف على الشيء والنظام" وورد في معجم الوسيط (انسق) فلان، تكلم سجعا ناسق تابع بينهما ولاءم (نسقه) : نظّمه " [2].

ورد في معجم مقياس اللغة حول ترتيب حروف كلمة نسق أما النون والقاف أصل صحيح، يدل على تتبع في شيء[3].

وعليه، فالنّسق يحمل معنى المتابعة والعطف على الشيء والنّظام، وتلاؤم الأشياء وتتاليها في نظام منظمّ، مثل العقد تنتظم حباته وتتناسق مشكلة فسيفساء جمالية وفنية تبدو للعيان.

أ- **اصطلاحا :**

من النّاحية الاصطلاحية تتعدّد معاني مصطلح النسق وتتوسع أراء النقاد والباحثين حوله، وهذا ما سنكتشفه من خلال التعريفات والمفاهيم الآتية:

- يعرفه الدكتور علي السلمي بقوله : " إنّ النّسق مفهوم يعمّ كل الكون، بل إنّ الكون بكامله كله ليس إلاّ نسقا كبيرا... داخله أنساقا جزئية تتداخل فيما بينها"[4] .

- ومصطلح النّسق من أهم المصطلحات التي أتت بها المناهج النصّانية التي تبحث في بنية النص بشكل معزول عن محيطه الخارجي، كما يعرّف **محمد مفتاح** النّسق بقوله : " ما كان مؤلّفا في جملة من عناصر أو أجزاء تترابط فيما بينها وتتعالق لتكون تنظيما هادفا، إلى غاية، وهذا التحديد يؤدي إلى نتائج عديدة"[5].

---

[1] ابن منظور : لسان العرب، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص352.
[2] ابراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط/ المكتبة الإسلامية، اسطمبول، تركيا، Net ، ص918.
[3] ابن فارس، معجم مقياس اللغة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج5، 1979، ص4.
[4] محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، شركة نشر المدارس، الدار البيضاء، ط4، 2000، ص29.
[5] محمد ابراهيم عبادة، معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، القاهرة، ص182.

- نفهم من هذا الطّرح أنّ : التّعالق والتّماسك بين أجزاء الجملة يُشكِّل نسقا خاصا لهذا البناء.

- إنّ مصطلح النَّسق يعتبر محور النّسق الثَّقافي، وعليه يتّكِئُ في آلياته وميكانيزماته التحليلية؛ إذ أنه في حدود النقد الثقافي يعبر عن : " نظام ينطوي على استقلال ذاتي، يُشَكِّل كُلاّ موحدا، وتقترن كلمته بآنية علاقاته التي لا قيمة للأجزاء خارجها، وكان **(Ferdinand de Saussure)** دي سوسير ، يعني بالنّسق شيئا قريبا من مفهوم البنية"[1].

- إذن فالّنسق هو ما يتولَّد عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية، إلا لهذه الحركة نظاما معينا يمكن ملاحظته وكشفه كأن يقول:" إنّ لهذه الرواية نسقها الذي يولده توالي الأفعال فيها "[2].

2- **الثّقافة :**

الإنسان بطبعه ميّالا إلى التجدد وكشف أغوار الحياة المتجددة، فنجده ينفعل ويتفاعل مع كل ما هو جديد من أفكار وعادات وأعراف وفنون تتجسّد في شكل تراث متعدد المشارب ومتّعدد المآخذ مما نستطيع أن نطلق عليه اسم الثقافة؛ فيا ترى فما المفهوم المناسب لها سواء لغة أو اصطلاحا؟

2-1-مفهوم الثّقافة (لغة / اصطلاحا) :

أ- **لغة :** يعود أصل الثقافة في المعاجم والقواميس العربية إلى الفعل الثلاثي ثَقَفَ، ففي معجم ابن منظور لسان العرب: " ثَقَفَ : ثَقِفَ الشيء ثَقْفا وثُقُوفَة: حَذقَه. ورجل ثَقْف وثَقِف وثَقُف: حاذِق فَهْم وأتبعوا فقالوا : ثَقْف لَقْف. وقال أبو زياد رَجُل ثَقْف وثَقِف لَقْف وثَقِيف بين الثقافة واللقافة... والمعنى المستفاد هو عالِم وضابِط لمَسَائِلِه، وحذِق في كلامه وأعماله. وقد أكّد القرآن الكريم مفهوم الثقافة تأكيدا آخر فقال تعالى : " وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالفِتْنَةُ أَشَدُّ مْنَ القَتْلِ"[3].

---

[1] Edit Krirouil إيديت كريرويل ، عصر البنيوية تر. جابر عصفور، دار سعاد الصباح، ط1، 1993، ص415.

[2] العماد توفيق، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب عمان ، ط1، 2009، ص102.

[3] عبدالكريم طبيش، الأدب الجزائري بلغات أخرى، المحاضرة 2، 2025، ص1-2. سورة البقرة : الآية 191 .

" ففي تفسير الجلالين، (ثَقِفْتُمُوهُمْ) أَيْ وَجَدْتمُوهُمْ وفي تفسير الطبري حيث أصبتم مُقَاتِلُهُم وأمْكَنَكُم قَتْلَهُم". وذلك هو معنى قوله: " ثَقِفْتُمُوهُم"، ومعنى الثَّقِفَة بالأمر الحَذِق به والبَصَر، يُقَالُ أنّه لا لَثَقِفَ لِقف إذا كان جيد الحذر في القتال بصيرا بمواقع القتل؟

وهناك بعض التعاريف تمّ ذكرها في قواميس تختلف وتتعدد أهمّها :

تعريف الرازي للثقافة: ثَقِفَ الرجل من باب ظرف، صار حَذِقا خفيفا وثَقِفَه من باب فَهِمه، وثَقْف هَذْب.

أما بُطرس البستاني فقد اشترك في تعريفه مع الرّازي مضيفا عليه الغلبة في الخدمة التي تعني الشغل أو العمل، فقد عرّفها بأنّها ثَقِفَه، يَثْقُفُه ثقْفا أي غَلَبَه

في الخدمة، وثَقِفَ الرّجل ، يثْقَف ثَقْفا وثَقَافَة أي صار حاذِقا خفيفا فطِنا"[1].

– ويتّضح جليا من خلال هذه التعاريف أنّ الّثقافة تعني الإيجاد والفطنة والعمل المنظّم، فهي أفكار تتعدّى الإدراك إلى السُّلوك الملموس .

ب– **اصطلاحا** : لقد استخدم النقّاد مصطلح الثّقافة واتّفقوا على أنّه لا يبتعد كثيرا عما عُرّف في المعنى اللّغوي " حيث تعود جذور مصلطح **Culture** إلى الأصل اللاّتيني **Coler** الذي يعني حرث الأرض وزراعتها وقد اقتصر مفهوم **Culture** في عصر النهضة على مدلوله الفني والأدبي والذي تمثّل في تناول دراسات التّربية والإبداع"[2] .

أمّا فولتير **(Volter)** ومن حذا حذوه، فقد كانت كلمة **Culture** تعني لديهم تنمية العقل وغرسه بالذوق والفهم وتزيينه بالمعرفة، واستعملها توماس هوبز(**Tomas Hobz)** " بمعنى العمل الذي يبذله الإنسان لغاية تطويرية سواء كانت مادية أو معنوية"[3] .

ويكاد يتفق معظم الباحثين على مفهوم واحد للثقافة، حيث نجد (**Edward Taylor)** إيدوارد تايلور يرى في الثقافة : " ذلك الكم المركّب الذي يتضمن، الإيمان، الفن، الأخلاقّ، القانون، الأعراف، وأية قدرات وعادات يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجموعة"[4].

[1] المرجع نفسه، ص2.
[2] المرجع السابق، ص8.
[3] المرجع السابق، ص08.
[4] زكي أحمد، الثقافة العربية ، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص15.

كما يُثَمِّن إيليوث **(Eliot)** مفهوم الثقافة فيقول : "تختلف ارتباطات الثقافة بحسب ما تعنيه من نمو فرد أو نمو فئة أو طبقة، إنّ ثقافة الفرد تتوقّف على ثقافة المجتمع كلّه الذي تنتمي إليه تلك الفئة أو الطبقة، وبناء على ذلك فإنّ ثقافة المجتمع هي الأساسيّة"[1].

أمّا حظّ الباحثين العرب من مصطلح الثقافة فلاَفِت للانتباه وهو متداول كل حسب اتجاهه ومرجعيته. فقد وردت في كتاب طبقات فحول الشّعراء لابن سلام الجمحي مرتبطة بحديثه عن الشعر " وللشّعر صنعته وثقافته يعرّفها أهل العلم : " كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت"[2].

ولعلّ أدق معنى وأوضحه أراده ابن سلام الجمحي هو الإنغماس والتعمّق في أساليب وأساسيات المعرفة والأخذ الجيّد والإحاطة الشّاملة بأصنافها مع الحذق والمهارة في دَرْء الرديء وجلب الصّالح والأجود.

أما مالك بن نبي، فيرى أنّ الثقافة" مجموعة من الصفات الخلقية والاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته ، وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي يعيش فيه"[3]. ويمكن التمييز مع الباحث المصري أنور عبد الملك بين المثقَفين (بفتح القاف) والمثقِفين(بكسر القاف).

فالفئة الأولى من المثقفين تتمثل في المتعلمين العاديين الذين يشتغلون بكل ما هو ذهني، ابتداء من المربَي والقارئ العادي إلى المرؤوس والمنفذ أي كل من يعرف القراءة والكتابة ؛ ولكن قادر على قيادة المجتمع، وتنويره، ثقافيا وإعلاميا وأدبيًّا ومعرفيًّا؛ بسبب عجز هذا المثقف عن الإبداع والإنتاج الفكري، أمّا الفئة الثانية فالمقصود بها : " الذين يشتغلون في أعمال تسعى لنشر الثقافة بين الجماهير الواسعة بين الناس...أو إلى تكوين فئة المثقفين العاديين"[4]. ويعني هذا أن المثقِفين هم من تفرَّدوا بالإنتاج والإبداع الثقافي في مجتمع ما، حيث يشكِّلون النُّخبة التي تحمل شارة القيادة وأفكارهم البازغة المتنوِّرة.

---

[1] نيس إيليوث، ملاحظات نحو تعريف الثقافة، دراسات في الأدب والثقافة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، (د ط) ، 2000، ص379

[2] ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية، ط1، 1998، ص512.

[3] مالك بن نبي، شروط النهضة، تر:عبد الصبور شاهين،دار الفكر للطباعة والتوزيع والنّشر، دمشق ،1979 ،ص74.

[4] أنور عبدالمالك، دراسات في الثقافة الوطنية، دار النشر، بيروت، ط1، 2003. ص201 .

ولذلك يمكن الإدلاء عموما بِأنَّ الثقافة تشمل كل ما أنتجه وأبدعه الإنسان من فكر ودين وعادات وتقاليد، وما خلّفه من آثار مادية وعمرانية، وثرات وتقنية وآلية ورقمية، وهي نور وحصن حصين من شأنها تقوية مناعة الفرد ضد المثبِّطات، وضد الذوبان والانغماس في فلسفة حضارية أخرى المؤدي إلى اضمحلال الهوية أو الخاصية التي كان للبعد الثقافي دور في الحفاظ عليهما.

3- النّقد الثقافي :

النَّقد الثقافي من إفرازات ما بعد الحداثة وما بعد الكولونيالية الاستعمارية يعنى أساسا بالكشف عن الأنساق المضمرة والمخبَّأة تحت عباءة النصوص الأدبية، وجاء بديلا عن النقد الأدبي، ومنفصلا عنه، الذي بلغ من الكِبَر عِتيًّا، رافضا كل ما هو جمالي وبلاغي درج عليه النقاد لفترة زمنية طويلة، وبذلك يهتم النقد الثقافي بالأنساق الثقافية؛ أي المعارف والقناعات التي يقتنع بها مجتمع ما، فحلّ محل النقد الأدبي الذي أثبت قُصُورَه للكشف عن جوهر وخبايا النصوص الأدبية.

3-1- مفهوم النقد الثقافي :

يُعرف النّاقد السعودي عبدالله الغذامي حامل لواء النقد العربي المعاصر؛ النقد الثقافي بقوله هو : " فرع من فروع النقد الُّنصوصي العام، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول الألسنية معني بنقد الأنساق المضمرة التي ينضوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وأنماطه وصيغه... من حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجمعي، وهو لذا معني بكشف لا الجمالي، كما هو شأن النقد الأدبي وإنّما همّه كشف المخبوء من تحت أقنعة البلاغي الجمالي، وكما أن لدينا نظريات في الجماليات فإنّ المطلوب إيجاد نظريات في (القبحيات)... وإنّما المقصود بنظرية القبحيات هو كشف حركة الأنساق وفعلها المضاد للوعي وللحس النّقدي"[1].

والمعنى أنّ أساس النّقد الثقافي هو استكشاف الأنساق الثقافية المضمرة باعتبارها من حقول الألسنية وأحد علوم اللغة، كما أنّه نشاط نقدي جديد، يبحث في أعماق الأدب وأغواره من عيوب وقبحيات بعيدا عن كل ما هو جمالي وبلاغي أكل عليه الدَّهر وشرب.

[1] عبدالله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق ، الدار البيضاء، لبنان، بيروت، 2008، ط4، ص83-84.

أما **(Vincent Leitch)** فنسنت ليتش يرى بأن مصطلح النقد الثقافي : " مرادف لمصطلح ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية، إذ هو تغيير جذري في المنهج التحليلي للنصوص، يعتمد اعتمادا كليًّا على عدَّة مُعطيات نظرية وأخرى منهجية تعلقه بعلم الاجتماع والتاريخ والسياسة، شريطة أن يتخلى عن مناهج التحليل الأدبي النقدي"[1].

لقد أشار النَّاقد الأمريكي ليتش بأنَّ النقد الثقافي من الاتجاهات النقدية المابعد حداثية منتقدا بذلك المؤسسة الثقافية التي كان لها تأثير سلبي على طريقة التَّلقي والاستجابة لدى القراء، بالتَّالي جاءه هذا النقد الجديد ثمرة ناضجة للدراسات الثّقافية التي ظهرت في وقت مبكر ساهمت في الكشف عن الأنساق السلبية التي عجزعنها النقد الأدبي الذي تربى في أحضان البلاغة. ولذلك لمسنا اهتماما واضحا وعناية بارزة لهذا النوع من النقد ليصبح بديلا عن النقد الأدبي ويحل محله.

3-2-نشأة وتطور النقد الثقافي :

يمثل النقد الثقافي أحدث ما أفرزته السَّاحة النقدية الغربية، حيث ظهر على وجه الخصوص كمصطلح في مقالة شهيرة للمفكر الألماني تيودور أدورنو **(Tyodor Adorno)** وتعود إلى سنة 1949م عنوانها النقد الثقافي والمجتمع في هذا المقال قام أدورنو بربط النقد الثقافي بالبرجوازية الأوروبية **(Adonce Habermase)** تم جاءت محاولة أخرى أقرها يورغن هابرماس زميل إدورنو وذلك في كتاب مميَّز حمل عنوان المحافظون الجدد، النقد الثقافي والحوار التاريخي، غير أن هابرماس لم يحاول الخوض في النقد الثقافي أو على الأقل تعريفه واكتفى بما قاله أدورنو عن طبيعته"[2].

تعتبر هذه المحاولات نظرة فلسفية ضيقة لم ترق إلى نشاط النقد الثقافي، الفعلي باعتباره حادثة ثقافية تجاوزت النص إلى ما وراءه من مدلولات وأنساق متفاعلة ومتشابكة تحت عباءة التحليلات الجمالية والفنية التي يعنى بها النقد الأدبي.

أما الظهور الفعلي للنقد الثقافي فكان مع الناقد الأمريكي فينست ليتش في منتصف الثمانينيات من القرن العشرين وبالضبط عام (1985م) " حيث استفاد هذا النقد من البنيوية

[1] عبدالله الغذامي، النقد الثقافي، ص31-32.
[2] المرجع نفسه، ص67.

اللسانية والأنثروبولوجية والتفكيكية، ونقد ما بعد البنيوية والحركة النسوية وأطروحات ما بعد الحداثة"[1].

وخلال هذه الفترة ازدهرت وتطورت مقولات ما بعد الحداثة ، فاتَّخذ النقد منهجا جديدا ونمطا تخييليا راقيا ضاربا عرض الحائط جماليات النقد الأدبي مسلطا الضوء على الأنساق الثقافية الكامنة وراءه . وبذلك لم يتبلور ويرق كمنهج إلا بما ساهم به النَّاقد الأمريكي ليتش هذا الأخير " الذي أصدر عام 1992م كتابا بعنوان – النقد الثقافي : نظرية الأدب لما بعد البنيوية ...إذ يعتمد النقد الثقافي عنده على التأويل التفكيكي بغية تحصيل الأنساق الثقافية استكشافا واستكناها ، ف: ليتش ينظر إلى النقد الثقافي كمرادف لما بعد البنيوية في التأسيس لعالم النقد الثقافي .

وبعد هذه المحاولات الغربية الحداثية تسرَّب – وبعفوية – إلى ساحة ثقافتنا العربية التي سعت الدراسات الثقافية إلى " استجواب منظومة القيم والأعراف السائدة في الثقافة الغربية ، وقد توصلت بعد البحث العميق في إشكاليات الفكر الغربي إلى أنّ الثقافة تتأسس في سيرورتها على قانون الاستيعاد والإستقطاب، لذا فإنَّ فهم فقه هذا القانون يستوجب تفعيلا لِمَلَكَة النشاط العقلي لكي يتسنَّى للناقد الثقافي كشف ممارسات الأنساق الثقافية ونقدها "[2].

ورغم هذا التلهُّف العربي نحو كل ما هو غربي حديث، إلا أنَّ هناك إرهاصات لواقع النقد الثقافي في الشعر العربي القديم داحضة لأصله الغربي، ويظهر بوضوح فيما ضمَّنه يوسف عليمات في كتابه النسق الثقافي بقوله:" إن النَّص الشِّعري القديم، كما تبرز هاته الدراسة، نص ثقافي نسقي يتوسل لجماليات اللغة وتشكيلاته الاستيعارية المراوغة بُغْيَة بِنَاء عوالم وفضاءات نسقية لا متناهية"[3].

لكن مع التَّغيرات الحديثة والمتسارعة في ميداني النقد والأدب لاسيَّما معرفيا ومنهجيا، أرجعت ظهور النقد الثقافي إلى : " القرن الثامن عشر، غير أن بعض التغيرات الحديثة ولاسيما مع مجيء النصف الثاني من القرن العشرين أخذت تكسبه سِمَات محدَّدة

[1] أيمن عبد الفتَّاح المسلاتي ، مجلة كفاية الآداب، جامعة بنغازي، ،نسخة إلكترونية رقم 1871-2523 ، العدد 57 ،يونيو 2024 ،ص37.

[2] يوسف عليمات، النسق الثقافي، قراءة ثقافية لأنساق الشعر العربي القديم، ط1، إربد، عالم الكتب الحديث، 2009، ص01.

[3] يوسف عليمات، النسق الثقافي، قراءة ثقافية لأنساق الشعر العربي القديم ، المرجع السابق، ص02.

على المستويين المعرفي والمنهجي، لتفصله من تم عن غيره من الألوان النقدية بوصفه لونا مستقلا مع بداية التسعينات من القرن الماضي"[1].

وبذلك نستطيع القول أن ظهور النقد الثقافي في الساحة الأدبية والنقدية العربية سبقته عدة ممارسات ودراسات لا ترتقي إلى مستوى نظرية نقدية ولم ينطلق بوعي ويثير حوله سجالا وجِدَالا يخدم المؤسسة النقدية.

وإذا أمعنا النظر في اهتمامات العرب بالتِّيارات النقدية الغربية الحديثة يتضح لنا أن النقد الثقافي العربي بمفهومه الواسع أحد الركائز المميزة لمسيرة الناقد واتساع رؤيته متزامنا ذلك مع تطور الرِّسالة(النص الإبداعي)، ومتلقِّي الرسالة الذين تأثروا بالتغييرات الفكرية والسياسية والاجتماعية في الساحة العربية أولا وفي العالم ثانيا، وكان للمثاقفة والأخذ من الآخر الدَّور الكبير في تغيير خارطة الأدب والنقد بكافة انشغالاته منذ منتصف عشرينيات القرن الماضي إلى الآن، وقد كان الاتجاه الشَّكلاني أو الشَّكلي والواقعي بكل فروعهما حضور كبير في الخطاب النقدي العربي، كما كان لهما الأثر الكبير في ظهور أسماء وعناوين شكَّلت القاعدة الأولى لنقد عربي جديد"[2].

هذا الأخير لم يكن وليد معرفة أو أثر فلسفي وفكري له مرجعياته عربيا وإنَّما شكّلته ظواهر ترجمية اتسمت بالفردية في أغلب الأحيان ، أو امتدادات للآخر الغربي في تحولاته الفكرية لتنتقل إلينا بوصفها محض موضة خارجة من الفكر الغربي ... ولهذا كله اتسمت النصوص النقدية العربية باستنساخ الأفكار وإعادة ما طرح بثوب جديد"[3].

وعلى هذا الأساس؛ نلفت الانتباه إلى بطش وتعسُّف بعض الأنظمة الحاكمة لشعوبها المستضعفة على سبيل المثال، ما حدث في العراق وفلسطين وفي البلدان العربية. " والذي حدث أن هذه الأنظمة في حكمها أو عند سقوطها أن الكثير من مثقفيها الذين في المنافي أو الذين بقوا في الداخل دخلوا في خضم التحولات الكونية التي أصابت المنظومة الفكرية العالمية في حوار مع التَّحوُّلات الكبيرة المتمثلة بالانفتاح الفكري، والنظري والتعددية الثقافية في جميع مجالات الحياة "[4].

---

[1] ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل النقد الأدبي ، المركزالثقافي العربي ،الدار البيضاء، المغرب ط3،2002،ص206

[2] عبدالرحمان عبدا لله: النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي، العراق أنموذجا، ط1، بغداد، في إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، 2013، ص45.

[3] عبدالرحمان عبدا لله: النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي، المرجع السابق، ص46.

[4] المرجع نفسه، ص46.

هذه الظروف المأساوية الاستبدادية هيَّأت أرضا خِصْبَة ليترعرع هذا الرعيل في كنَف نقد ما بعد الحداثة أو ما بعد البنيوية من خلال روح التصدي والمواجهة لكل التمركزات التي تمارس ضدهم وضد شعوبهم المضطهدة، كما ننوه إلى أن هذا النقد ظهر على أيدي الأقليات العرقية عالميا أو الشعوب المغتصبة أو عند رجالات الفكر من أصحاب الاتجاه اليساري الذين تنقلوا في أرض الشتات ومن أبرز هؤلاء" إدوارد سعيد، هومي باب وأحمد أعجاز" فضلا عن السبب الرئيس وهو الانفجار المعرفي في وسائل الاتصال وتلقي المعلومة التي اتسمت بالسيولة الثقافية على الأصعدة جميعها"[1].

إن هذا التحول النوعي والجذري في رؤية الإنسان لنفسه وللآخر وما يحيط بهذا الكون العجيب. حيَّر الإنسان في تلك الفترة فتغير كل شيء " إذ تحول الإنسان من حالة الركود إلى حالة من الترقُّب والتأمُّل لحركة التاريخ والثقافة، بوصفهما يمثلان واقعا لغويا وشاهدا على إنتاجية النص ذي الدلالة المفتقدة في عالم ما بعد البنيوية"[2].

أمَّا فهمنا للنقد الثقافي بالمعنى العام وهو ما اقترحه النَّاقد الأمريكي " **ليتش**" فإنَّه يمكن الحديث عن كثير من النَّقد الذي قدمه الكتَّاب العرب منذ منتصف القرن التاسع عشر بوصفه نقدا ثقافيا أي بوصفه استكشافا لتكوين الثقافة العربية وتقويما لها"[3].

وخاصة إذا رجعنا إلى الزَّاد المعرفي العربي من طرف ثُلَّة من المثقفين الذين تشرَّبوا من الحضارة الغربية" لوجدنا كتابات **طه حسين مثلا، (في الشعر الجاهلي) (ومستقبل الثقافة في مصر)** يمكن أن تدخل تحت إطار النقد الثقافي الحضاري وكذلك ما قدمه العقاد وجماعة الديوان وبعض أفكار المهجريين هي كلُّها بمثابة خروج على سلطة المؤسسة ومركزيتها على ممرِّ العصور وتوجُّهات الثقافة السائدة التي لا تقبل التغيير"[4].

لذلك نجد أن كل هذه الرُّؤى الممزوجة برؤى وحضارة ونهضة عربية تسعى إلى الانفلات من براثن المركزية الفكرية الثقافية إلى التعبير بحرية، لكشف المضمر والكامن في اللاشعور والتصريح بالمسكوت عنه بفضح ما كان مستورا وإخراجه إلى العلن.

---

[1] المرجع نفسه، ص46-47.
[2] المرجع نفسه، ص47.
[3] المرجع نفسه، ص48.
[4] عبدالرحمان عبدالله: النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي، ص50.

ولقد تأكَّد من كل ما سبق : "أنَّ النَّقد الثَّقافي عربيا كان له إرهاصات تمثلت بأفكار النقد الثقافي الحضاري الذي لا يمكن نُكران وجوده – لكن الطَّفرة الفكرية التي انبثقت على يد الكاتب العربي الأمريكي الجنسية(إدوارد سعيد) المَنْبَع المهم للنقد الكلونيالي وما بعده – كذلك إسهاماته في النقد الثقافي ما بعد البنيوي عالميا وعربيا : كونه قدم رُؤْيَة جديدة غيَّرت الدراسات الثقافية وأعطت زخما لها على صعيد الدراسات الفكرية"[1] .

ف: (إدوارد سعيد) النَّاقد والمفكر يمثل " نَصًّا مفتوحا، إذ تأسّس ونما داخل حركة النقد الجديد، المضاد للهيمنة والتسلط"[2]، حيث تبنى نظرية تمثلت في خطاب ما بعد الكلونيالية باعتباره أن " هناك علاقة وثيقة تربط بين النقد الثقافي والدراسات ما بعد الكلونيالية: وهي علاقة ليست فكرية وذات جوهر إديولوجي فحسب وإنما هي تاريخية أيضا"[3].

ولمواكبة التطورات السابقة على اختلافها وتباينهاَ بزغ نجم في الساحة النقدية العربية ألا وهو الناقد السعودي **عبدالله الغدامي** الذي يعتبر من النقاد والمفكرين الذين تشكل لديهم حِسّ نقدي ساير وواكب كل ما حصل من تغيُّر وتجدُّد ونمطية، منطلقا ومرتكزا على كتابه النَّقد الثَّقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، الصادر عام 2000 والذي يمثل أطروحة مهمة في مسيرة الكاتب الأدبية الفكرية، إذ "دعا \إلى تغيير الوظيفة التقليدية للنقد الأدبي واقتراح الوظيفة الثقافية بدلا عنها، وبذلك اقترح (النقد الثقافي) بدلا عن النقد الأدبي، الذي استأثر بتحليلاته الخصائص الجمالية للنصوص الأدبية"[4]. ومن ثم أراد الغدامي التغلغل في الدهاليز الشعرية للبحث في محمولاتها ومكنوناتها الثقافية، حيث " كانت فكرة (الفعل) وفكرة (النسق الشعري) وراء ترسيخها، من ثم كانت الثقافة. بما أن أهم ما فيها هو الشعر... وراء شعرنة الذات وشعرنة القيم" [5].

ولقد نوه الناقد السعودي في هذا الإطار إلى وجود عائق وحائل دون تطور وازدهار الثقافة العربية، فحصرها في كم من الفرضيات بقوله: " وهذه الفرضيات هي السبب في نكوصها وعدم تقدمها مما أدخلنا في العمى الثقافي التام من النظر إلى العيوب النسقية

[1] عبدالرحمان عبدالله: النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي، ص51.
[2] المرجع نفسه، ص52.
[3] المرجع نفسه، ص58.
[4] المرجع نفسه، ص58.
[5] المرجع نفسه، ص58-59.

المختبئة من تحت عباءة الجمالي، حتى أصبحت النماذج الشعرية والبلاغية نماذج سلوكية تتحكم فينا سلوكيا وفكريا، ولابد من بديل يغير هذه المنظومة فكان في إعلان موت النقد الأدبي، وإحلال النقد الثقافي بدله، الذي يهدف إلى قراءة الخطاب العربي (الفلسفي، الفكري، الاجتماعي والسياسي)، وكشف أنساقه "[1].

وتأسيسا على ما سبق ندرك أن مشروع الدكتور الغدامي للنقد الثقافي محاولة لتقديم رؤية عربية سائغة تحت إطار نقدي جديد ضاربا عرض الحائط ما هو قديم بإخفاقاته، مناديا بوظيفة جديدة ورائدة للنقد الأدبي وهي نقلة ثقافية مهمتها إعادة ترتيب النظرية النقدية الأدبية من جديد.

[1] عبدالرحمان عبدالله: المرجع السابق، ص59.

4- **النَّسق الثقافي :**

إنَّ هَمَّ النقد الثقافي هو البحث داخل النصوص الأدبية عن مختلف مواطن الأنساق الثقافية وبخاصة المضمرة المخبأة خلف عباءة البناء الجمالي لهذه النصوص، حيث يسعى النقد الثقافي جاهدا إلى الكشف عن الأنساق الثقافية المسكوت عنها التي لم يستطع النقد الأدبي اكتشافها.

وعموما فإن النقد الثقافي يكشف عن أنساق متناقضة ومتصارعة، حيث نجد نسقا ثقافيا معلنا وظاهرا يحمل توجُّها ما للكاتب، ونسقا مضمرا وغير معلن، يحمل توجها آخر مناقضا.

1.4. مفهوم النسق الثقافي :

مسألة إبداع النَّسق الثقافي كانت من ثمار مشروع النقد الثقافي عند عبدالله الغذامي كونه " يتّجه إلى كشف حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة ووسائل خافية، وأهم هذه الحيل هي الحيلة (الجمالية)" التي من تحتها يجري تمرير أخطر الأنساق وأشدها تحكُّما فينا"[1].

لقد حاول الغذامي أن يُلبس النسق الثقافي لبوسا جماليا فيقول :""ويشترط في النص أن يكون جماليا، وأن يكون جماهيريا، ولسنا نقصد الجمالي هو ما اعتبرته الرعية الثقافية جميلا.

ونحن هنا نستبعد (الرديء) و(النخبوي) عبر شَرْطَيْ الجمالي والجماهيري، كما نستبعد التناقضات النسقية التي تحدث في مواقع مختلفة وفي نصوص متباينة"[2]

لأن الحديث عن الأنساق الثقافية يجرُّنا إلى الوقوف على أصل المصطلح النقدي في الثقافة الغربية نظرا للأسبقية لهم في اكتشافه والاهتمام به كفَنّ جديد أحدث تغييرا جذريا في ميدان النقد، فنضجت الفكرة بمسميات تختلف من ناقد إلى آخر فقد " أوجد أيكو EKO مصطلح (الوحدة الثقافية) Culturel Unit ، وهي أي شيء يعرف ثقافيا ويميز بوصفه وحدة مستقلة ؛ قد يكون شخصا ، مكانا ، شيئا ، شعورا ،حالة ، توجسا بالشر، خيالا ،

[1] عبدالله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية، العربية المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2008، ص77.
[2] المرجع نفسه، ص77.

هَلْوَسة، فكرة ، ونظر إيكو إلى الوحدة الثقافية بوصفها وحدة دلالية سيميائية semantic unit مدمجة في نظام . وقد تتجاوز هذا النظام إلى التفاعل بين ثقافتين"[1].

كما " يشترك (Lotman) لوتمان مع إيكو في مقاربة مصطلح (نسقا ثقافيا) . فالنسق عنده أصبح دالا على تاريخ الثقافة والأدب والفكر الإجتماعي بصورة عامة . وهذا يقتضي جعل الأنساق الثقافية تنتظم في ترتيب تتابعي عبر عصور التاريخ المختلفة، ووصف أنماطها لتحديد الخاصية الكلية الجامعة للثقافة الإنسانية بشكل عام."[2]

وجاءت الدراسات الثقافية داعمة لمفهوم النسق ، فقد طرح " antony easthote استهوت مفهوم (الفعل الدال) ليحل به المشكل النقدي الذي رسخته الدراسات التقليدية في التفريق بين أدب راق وأخر شعبي . وحسب مفهوم القعل الدال يصبح كل ما هو حامل دلالة مادة للنظر والتحليل ... فالنسق الثقافي من الركائز التي تميز مشروع النقد الثقافي عند (leitch) ليتش ؛ إذ يشتغل النقد على أنظمة الخطاب الظاهرة والمضمرة للكشف عن الأنساق الثقافية." [3].

ولذلك جاء تحديد جلي "وشامل للأنساق الثقافية باعتبارها "نظم (Systems) بعضها كامن وبعضها ظاهر في أية ثقافة من الثقافات ، وتتفاعل في هذه النظم العلاقات المجازية عن التذكير والتأنيث الثقافيتين، والعرق ، والدين ، والأعراف الإجتماعية ، والقيود السياسية ، والتقاليد الأدبية، والطبقة ، وعلاقات السلطة التي تحدد المواقع الفاعلة للذوات . وهذه النظم ذات صلة وثيقة بإنتاج الخطاب الإبداعي والفكري وطرائق تلقيه . والأنساق الثقافية لا تقتصر على الأدب الرسمي أو المعتمد في ثقافة ما، وإنما تتجاوز ذلك إلى الأدب غير الرسمي."[4]

وعلى هذا الأساس، نجد عبدالله الغذامي السعودي يعرف الأنساق الثقافية بأنها : " أنساق تاريخية أزلية وراسخة، ولها الغلبة دائما، وعلاماتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق، وكلما رأينا منتوجا ثقافيا أو نصا يحظى بقبول جماهيري عريض وسريع، فنحن في لحظة من لحظات الفعل النّسقي المضمر

[1] ضياء الكعبي : السرد العربي القديم ،الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1، 2005، ص 21.
[2] ضياء الكعبي ؛ السرد العربي القديم ، الأنساق الثقافية و إشكاليات التأويل ، ص 22 .
[3] المرجع نفسه ، ص 22.
[4] المرجع نفسه، ص22- 23.

الذي لابد من كشفه للتحرك نحو البحث عنه... وقد يكون ذلك في الأغاني أو في الأزياء أو الحكايات والأمثال مثلما ما هو في الأشعار والإشاعات وفي النكت"[1].

لذلك نستطيع القول بأن النسق الثقافي هو مجموعة من القناعات والقيم والأيديولوجيات التي يقتنع بها مجتمع ما، وهو أيضا عبارة عن منظومة وضعها الإنسان لتنظيم أموره في الحياة، وكل هذه الأنساق قابلة للتغير والتطور، من عصر إلى عصر آخر، وبالتالي؛ فالأنساق الثقافية جوهر ارتكاز النقد الثقافي ، حيث يهتم بالمقاربة النسقية للنصوص والخطابات محاولة منه الحفر في أعماق المحمولات الثقافية لاستخراج واستكشاف المدلولات المخبأة والمضمرة من صفات وتصورات مسبقة.

2.4. أنواع الأنساق الثقافية :

لقد كان الناقد السعودي عبدالله الغذامي حريصا أشد الحرص على إعطاء أهمية كبرى للنّسق الثقافي باعتباره " ذو طبيعة سردية يتحرك في حبكة متقنة، ولذا فهو خفي ومضمر، وقادر على الاختفاء دائما ويستخدم أقنعة كثيرة وأهمها– كما ذكرنا – قناع الجمالية اللغوية وعبر البلاغة وجماليتها تمر الأنساق أمينة مطمئنة من تحت هذه المظلَّة الوارفة، وتعبر العقول والأزمنة فاعلة ومؤثرة" [2] ؛ فالنسق من خلال هذه المقولة ينقسم من جانب الحضور والغياب إلى نسق ظاهر وخفي مضمر؛ أكثر خفية وتمركزا باعتباره دَيْدَنُ النقد الثقافي وجوهره لتقصي المحمولات الثقافية داخل المنجز الإبداعي ، وبالتالي فالأنساق الثقافية نوعان:

1.2.4. النّسق الظاهر: يُقصد به المعنى الواضح والظاهر للقارئ البسيط كما جاءت به المادة اللغوية الميسَّرة ، فمن خلال معرفة السِّياق وإدراكه لابد من تذوق النص الأدبي وتفسيره .

لذلك يبيِّن لنا عبد الله الغذامي دور النسق الظاهر بقوله: " يتحدَّد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد ، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا في وضع محدد ومفيد، وهذا يكون حيثما يتعارض نسقان أو نظامان في أنظمة الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقضا وناسخا للظاهر" ؟؟

[1]- النقد الثقافي، قراءة في الأنساق العربية الثقافية، ص79-80.
[2] عبد الله الغذامي :النقد الثقافي ، ص76.

نستنتج من خلال هذا القول أنَّ النسق الظاهر جوهره الأساس كُنْه البعد الثقافي ومعرفة دلالاته المقصودة بعد التعايش مع البعد الجمالي في ثنايا النص الأدبي.

2.2.4. **النّسق المُضْمَر** : النسق المُضْمر هو مصطلح نقدي شديد الارتباط بالنقد الثقافي ، حيث يشير إلى البُنَى العميقة والخفية التي تشكل الخطابات الثقافية والنصوص الأدبية فهي إذن غير معلنة بشكل مباشر كما يأتي مفهوم النسق المضمر في نظرية النقد الثقافي يوصفه مفهوما مركزيا، والمقصود هنا إنَ الثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مُهَيْمِنَة، وتتوسَّل لهذه الهيمنة عبر التَّخفي وراء قِنَاع الجمالية ،أي إنَّ الخطاب البلاغي الجمالي يُخِّبئ من تحته شيئا آخر غير الجمالية ، وليست الجمالية إلا أداة تسويق وتمرير لهذا المخبوء ، وتحت كل ما هو جمالي هناك شيء نسقي مضمر "[1]

لذلك فإن النسق أو الأنساق تُعوِّض النص والنصوص ، وما هو جماهيري مضمر أو مسكوت عنه يعوض ما هو نُخْبَوي أو دلالي متفق عليه ، بمعنى أنّ الفاعل الحقيقي في السيرورة التاريخية والإنسانية يَحْجِبه الفاعل الأدبي المؤسساتي الذي ينبغي تجاوزه إلى ما هو أبعد وأعم "[2]، أي أن النقد الثقافي يهدف إلى بيان أثر الثقافة في تمرير أنساقها عبر الحيل الجمالية والبلاغية حيث تشتغل هذه الأنساق بوصفها خطابا ،" إذ أن كل خطاب يحمل نسقين ، أحدهما واع ، والآخر مضمر، وهذا يشمل كل أنواع الخطابات ، الأدبي منها وغير الأدبي ، غير أنه في الأدبي أخطر لأنه يتمتع بالجمالي والبلاغي لتحرير نفسه وتمكين فعله في التكوين الثقافي للذات الثقافية للأمة"[3] .

ومن أهم شروط النسّق المضمر مقارنة بالنسق الظاهر هو أن " يكون المضمر غير مناقض للعلني فسيخرج النص عن مجال النقد الثقافي، بما أنه ليس لدينا نسق مضمر مناقض للعلني ، وذلك لأن مجال هذا النقد هو كشف الأنساق المضمرة (الناسخة) للعلني ... ولابد أن يكون النص ذا قبول جماهيري ، ويحظى بمقروئية عريضة ، وذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي "[4].

---

[1] عبد الله الغذامي :نقد ثقافي أم نقد أدبي ؟عبد النبي اصطيّ، دار الفكر ، ط1،2004، ص30.

[2] سعيدة تومي: مصطفى البشير قط ،ثقافة النسق و تحولات الخطاب الشعري الجاهلي عند يوسف عليمات، المجلّد07،العدد02 ، جوان 2023 ، ص 670.

[3] عبد الله الغذامي ، عبد النبي اصطيّف ،ص31،32 .

[4] عبد الله الغذامي ، عبد النبي اصطيّف ، المرجع نفسه ،ص32.

وبالتالي " يتحقق مفهوم النسق المضمر ، وهو كل دلالة نسقية مختبئة تحت غطاء الجمالي ومتوسلة بهذا الغطاء لتغرس ما هو غير جمالي في الثقافة "[1].

و نخلص إلى القول : أنَّ الأنساق الثقافية هي الحقل الخصب للنقد الثقافي الذي يسعى جاهدا لكشف واستخراج الأنساق المضمرة متمثلة في حمولات ثقافية ومعرفية اعتبرها عبد الله الغذامي "مجموعة من الترسبات تتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية ، وتتقن الاختفاء تحت عباءة النصوص المختلفة تمارس على الأفراد سلطة من نوع خاص وهي حاضرة في فلتات الألسن والأقلام بصورة آلية، وينجذب نحوها المتلقون دونما شعور منهم ، لأنها أصبحت تشكل جزءا هاما من بيئتهم الذهنية والثقافية" [2]

5- آليات النقد الثقافي :

يستخدم في النقد الثقافي مجموعة من الآليات التي تهدف إلى تحليل النصوص والظواهر الثقافية، ليس فقط من الناحية الجمالية، بل باعتبارها إنتاجا اجتماعيا وثقافيا ضاربا جذوره في أعماق الهُويات والقيم التي يتوارثها الإنسان .

لذلك نؤكد بأنّ هذه الآليات عبارة عن عدسة تكشف لنا الوجه الحقيقي لما يجري داخل النصوص الأدبية ، إذ أنها قراءة هامشية تفكيكية لمركزيّة السلطة والخطابات ،

الهدف منها كشف استمرارية الأفكار المهيمنة من خلال نقد الأنساق الثقافية التي تسعى دوما للحفر ما بين السطور وإعطاء قراءة ثانية للنصوص الأدبية وإعادة إنتاج صور ذهنية وتأثيرات مجتمعية طلت مدة زمنية قابعة ومتوارية وراء البنيات الجمالية ، لذا ، يستند النقد الثقافي إلى مجموعة من الآليات وتتمثل فيما يلي :

أولا : الوظيفة النَّسَقِية

وهي عبارة عن آلية أو أذاة نقدية ، تكشف البُنى الخفية للثقافة سواء كان هناك توافق، أو تعارض بين السقين؛ إذ " حُدَّد النّسق في جملة من الأمور عبر وظيفته ، حيث يتعارض النظامان (النّسقان) اللّذان يكون أحدهما مضمرا ناقضا للأخر وناسخا له ، وهو النّسق الظاهر، بالإضافة إلى ضرورة وجود هذا النّسق ، في الخطاب الجمهوري ، ولا بُدّ من اعتبار الخطاب حادثة ثقافية، واعتبار النّسق إفرازا ثقافيا ، يستهلكه الجمهور باختلاف

[1] المرجع نفسه ، ص33.

[2] إسماعيل خلباص حمادي ، إحسان ناصر : النقد الثقافي : مفهومه ، منهجه ، إجراءاته ، مجلة كلية التربية ، جامعة العراق ، ع 13 ، 2013 ، ص 17 .

الجنس، والطبقات والأشكال ، واعتبار الجماليات البلاغية قناعا ، تمرّ من خلاله الأنساق بأمان، هذا إلى جانب اعتبار الأنساق أزلية تاريخية وراسخة، وغالبة على الذوق الجمهوري، و ذلك ما يحدث في الأغاني والحكايات، والأمثال والنكت، والشائعات والأشعار، وهو بهذا تورية ثقافية، تضم المضمر الجمعي في صورة رمزية"[1].

ونجد عبد اللّه الغذّامي يقدم لنا تفسيرا، وإجراء نسقيا، و يتمثل هذا الإجراء في قوله : " ستكتسب اللغة وظيفة سابعة هي الوظيفة النّسقية إلى وظائفها الست الأولى المرتبطة بالعناصر الستة ، و هي النّفعية و التّعبيرية و المرجعية و المعجمية و التّنبيهية و الشاعرية (الجمالية) . و نحن لا نخترع للغة وظيفة جديدة مثلما أنَّ ياكبسون لم يصنع تلك الوظائف، و لكنّه كشفها للبحث و للنّظر، وليس من شك أنّ كثافة أنماط الإتصال البشري تضمر دلالات نسقية ، تؤثر على كل مستويات الإستقبال الإنساني في الطريقة التي بها نفهم والطريقة التي بها نفسّر، و النُّصوص التي لا تسمى عادة بالأدبية هي الأكثر انفعالا مع الوظيفة النّسقية ، من دون أن ينتفي ذلك عن النصوص الأدبية أيضا ".[2]

لقد أشار عبد اللّه الغذّامي إلى أن الوظيفة النّسقية السَّابعة تساعد على تحليل النّصوص ضمن نظرية الوظائف اللّغوية (خصوصا عند رومان ياكبسون) أو مقاربات تحليل الخطاب ، لكن في سياق انفعالها مع النّصوص غير الأدبية (كالمقالات ، والخطب، والإعلانات ...) ، فهذه الوظيفة تعبّر عن موقف المتكلم ، أو مشاعره اتجاه الموضوع، وتبرز في النصوص التي تهدف إلى التأثير في المتلقي، أو نقل انفعال الكاتب ،لا مجرّد إيصال معلومات. وفي النّصوص غير الأدبية أيضا تظهر هذه الوظيفة في اللّغة العاطفية والإنفعالية .

" فوظيفة النص في الوظيفة النَّسقية ليست وظيفة أدبية ، أو شعرية ، أو جمالية ، كما يقول ياكبسون ، في نظامه التواصلي ، بل هي الوظيفة النسقية الثقافية" [3] ، وأنّ " لكل كلام إنساني دلالة نسقية مضمرة تؤثِّر في الفهم و الاستقبال والتحليل والتفسير، هذه الوظيفة توسِّع مجال النظر إلى الأبعاد النَّسقية لمجمل الخطابات و هذا يعني توسيع وظيفة النقد و

[1] ملحة بنت معلث بن رشاد السحيمي: نظرية النّقد الثقافي ما لها و ما عليها، مجلة بحوث كلية الآداب ، العدد 01، 2020،ص 19/18.

[2] عبد اللّه الغذّامي : النقد الثقافي ، ص65.

[3] ملحة بنت معلث بن رشيد السحيمي ، مجلة بحوث كلية الآداب ، ص19

فعّاليته على مستوى التنظير و الممارسة." ويمكن توسيع وظيفة النقد من خلال تجاوزه للأطر النّسقية الصارمة نحو مقارنة أكثر انفتاحا و شمولا ، بحيث لا يقتصر على تحليل البُنى الداخلية للنصوص ، بل ينفتح على السياقات الثقافية ، و الإجتماعية ، و السياسية التي تنتج النص و تؤثر في فهمه.

ثانيا : المَجَاز (المجاز الكُلِّي)

المجاز الكُلِّي، هو نوع من المجاز ، أو الإستعارة ،يغلب على الخطاب الجانب الرمزي ، أو دلالة على شيء أعمق ، وأوسع ؛ إذ يستخدم في النقد الثقافي لفهم الخطابات الثقافية ، أو النصوص الأدبية على أنّها تمثل أيديولوجيات ، أو تصورات واسعة متعدّدة المشارب ، أو الثقافات ، حيث يرى عبد الله الغذّامي أنّ :" المجاز قيمة ثقافية ، وليس قيمة بلاغية / جمالية كما هو ظاهر الأمر ... بمعنى أنّ هناك أنماطا سلوكيّة ثقافية تتحرك و تتفاعل ، وعبر هذا التحرك، و التفاعل تتعلّق نماذج للقول تسود في الخطاب، ومن ثم يأتي الاستعمال الذي يعني وضع الخطاب في وظيفة بأن تجعله يعمل ويُعمل به ، وهنا يولد التعبير المجازي ولادة ثقافية يخضع لشروط الأنساق الثقافية "[1].

وحتى يتوسع مفهوم المجاز و يمتد مجاله أكبر، فلا بدّ أن " ينقله من حال الاهتمام باللفظة المفردة ، وأحيانا الجملة إلى الخطاب الذي هو مُركب من مواقف و رُؤَى متكاملة و دعوته إلى المجاز الكلّي تُسهمُ في إثراء وظائف المجاز داخل الخطاب لأن الازدواج الدلالي ذو طبيعة كلّية ، لا يقتصر على اللفظة المفردة و الجملة ، لأن الخطاب له بُعْدَان : حاضر لغوي ، والآخر متخفّ، وهو بهذه القراءة يصل إلى قراءة شاملة لكل الأبعاد النّسقية للخطاب " هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يدعم الغذّامي هذا الرأي لكن بتصور أوسع و أدقّ فيقول : " فالمفهوم البلاغي للمجاز يدور حول الاستعمال المفرد للفظة المفردة ، إذا زاد فعن الجملة ، وهو ما يسمى بالمركب ، ولا يتجاوز ذلك إلى الخطاب " أي أنّ استخدام كلمة واحدة في سياقات بلاغية مختلفة ، وبأبعاد متعددة ، دليل على أنّ المفردة قادرة على أنْ تحمل أكثر من معنى ، و تتوقف هذه المعاني و التأويلات عند الجملة ، في حين لا تكن من نصيب الخطاب"[2].

[1] عبدالله الغذامي، النقد الثقافي، ص67.

[2] عبدالرحمان عبدالله، النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي، ص62.

وبما أنّ نظرية المجاز تقوم أصلا على الازدواج الدَّلالي الذي تسميه البلاغة الحقيقية والمجاز والذي يصف حركة اللغة في تحويل القول من معنى إلى معنى آخر مع تجاوز المعنيين معا، وإمكانية أخذهما معا في الاعتبار، إذا أخذنا هذا التصور الأولي للمجاز، وتمعّنا في الفعل الثقافي مع وظيفة اللغة من حيث أدائِها التعبيري المباشر ثمّ من حيث أدوارها التأثيرية غير المباشرة، وهما وظيفتان متصاحبتان و ليس من شك في وجودهما معا "... وفي هذا الصدد يثير الازدواج الدلالي فكرة مفادها : أنّ الجملة المجازية تحتمل معنيين إثنين في وقت واحد ، معنى ظاهر غير مقصود ، وآخر باطني مجازي ، وهو المقصود ، والمستهدف الحقيقي في المجاز الكُلّي ، "بمعنى أنّ الخطاب يحمل بُعدين أولين أحدهما حاضر وماثل في الفعل اللغوي المكشوف، وهو هذا الذي نعرفه عبر تجلِّياته العديدة الجمالية وغيرها...أمَّا البعد الآخر فهو البعد الذي يمس (المضمر) الدلالي للخطاب، هذا المضمر الفاعل والمحرك الخفي الذي يتحكم في كافة علاقاتنا مع أفعال التعبير وحالات التفاعل، وبالتالي فإنه يدير أفعالنا ذاتها ويوجه سلوكياتنا العقلية والذوقية"[1].

من خلال هذه الأراء المختلفة جوهريا يتبَّين لنا جليّا وواضحا أنَّ المجاز الكلي يتمثل في تحول النص كاملا إلى رمز أو صورة تمثل معنى أعمق أو قضية كبرى، كما أن الخطاب كله يصير إلى كناية ضخمة عن شيء ثاني مثل الوطن، الهوية، الاضطهاد، الأمل ... إلخ.

ثالثا : التورية الثقافية

التورية الثقافية لها معنيين يزاحم أحدهما الآخر في الاختلاف فواحد قريب واضح وجلي، والثاني بعيد مقصود بطريقة خفية، أي أنه خطاب يتكلم عن شيء واضح، لكن في الحقيقة يحمل معنى ثقافيا خفيّا، أو يناقش قضية أكبر بطريقة رمزية أو مُمَوَّهَة، وللغذامي رأي مفاده : "أن مصطلح (التورية) يعاني أزمة داخلية كبقية عناصر المنظومة الاصطلاحية في البلاغة، فقد حددت وظيفة التورية بالظواهر المقصودة (القصدية) فعلا في صناعة الخطاب وتأويله فيما ينبغي نقل هذه الوظيفة من هذا الخانق الضيِّق والمحدود الفاعلية إلى

[1] المرجع نفسه، ص 68-69.

مجال المضمرات والمخفيات والمتواريات بدل الركون إلى المقاصد التي تشير إليها الألفاظ...

فيما أن التورية (الثقافية) تدل على حال الخطاب، إذ ينطوي على بعدين أحدهما مضمر لاشعوري ليس في وعي المؤلف ولا في وعي القارئ، ومضمر نسقي لم يكتبه كاتب فرض ولكنه، اِنْوَجَدَ عبر عمليات من التراكم والتواتر حتى صار عنصرا نسقيا يتلبس الخطاب، وهو ما يعول عليه مشروع الغذامي والنقد الثقافي في نسخته العربية"[1].

رابعا : الدلالة النسقية

هناك صنفان للدّلالة النَّسقية: صريحة معلنة، وضِمْنِية مخفية " إذ تتعالق الدلالة الضمنية تعالقا كبيرا مع أدبية النص، ولذلك فإن إضافة مصطلح آخر" الدلالة النسقية" يَعْضُد الدلالتين السابقتين ويفتح المجال للدلالة الثقافية في الظهور، وهو المبحث الذي يعنى بكيفيات تضمين الخطاب أنساقا تتداخل في توجيه الأفكار والسلوك وتحديد الحمولات الفكرية للآثار الأدبية"[2]، ونجد أنَّ عبدالله الغذامي، يقدم اقتراحا لنوع ثالث " من أنواع الدلالة هو: الدلالة النسقية ترتبط في علاقات متشابكة نشأت مع الزمن تكون عنصرا ثقافيا أخذ بالتشكُّل التدريجي إلى أن أصبح عنصرا فاعلا، لكنه وبسبب نشوئه التدريجي (تمكَّن من التغلغل غير الملحوظ وظل كامنا هنالك في أعماق الخطابات، وصار ينتقل ما بين اللغة والذِّهن البشري فاعلا أفعاله من دون رقيب نقدي لانشغال النقد بالجمال أولا، ثم لقدرة العناصر النسقية على الكمون والاختفاء)، والدلالة النسقية تحتاج لذهن متوقد ورؤية عميقة للخطاب"[3].

لهذا أراد عبدالله الغذامي أن يوجد نوعا ثالثا من الدلالة قد أطلق عليه اسم الدلالة النسقية، " وعبر هذه الدلالة سنسعى إلى الكشف عن الفعل النسقي من داخل الخطابات... وهي ذات بعد نقدي ثقافي" [4].

خامسا : الجملة الثقافية

[1] سمير خليل، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، ط1، دار الجواهري، بغداد، لبنان، بيروت، 2012، ص29-30.
[2] عبدالرحمان عبدالله، النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي، المرجع السابق، ص62.
[3] سمير خليل، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، المرجع السابق، ص30-31.
[4] عبدالله الغذامي، ص73.

هي جملة أو عبارة تحمل حمولة ثقافية كبيرة ومتنوعة؛ أي أنها تعكس تصورات المجتمع، قِيَمَهُ، سلطاته، ونظرته لأشياء تكشف للناقد الثقافي كيف يفكر المجتمع وكيف تمارس الهيمنة الثقافية من خلال استكشاف المنطوق الثقافي.

والجملة الثقافية عند الغذامي : " مفهوم يمس الذبذبات الدقيقة من التشكل الثقافي الذي تفرز صيغه التعبيرية المختلفة وبهذا تكون (الجملة الثقافية) متولِّدة عن الفعل النسقي في المضمر الدلالي للوظيفة النسقية في اللغة "[1].

ولذلك نستطيع أن نجزم بأن الجملة الثقافية هي هدف وروح النقد الثقافي ومسعاه المنشود "إذ قد نجد جملة ثقافية واحدة في مقابل ألف جملة نحوية، أي : إن الجملة الثقافية هي دلالة اكتنازيه وتعبير مُكثَّف، ونفهم من كل هذا أن الجملة الثقافية هي الهدف والمرمى"[2].

سادسا : المؤلف المزدوج

لكلّ نصّ أدبي كاتب جمالي وأدبي يُنتج أنساقا أدبية وجمالية، إما أن تكون ظاهرة ومباشرة أو غير مباشرة عن طريق الرّمز والإيحاء، لكن في مقابل ذلك يوجد مبدع آخر ثقافي يشكل أنساقا ثقافية مضمرة، وهنا بيت القصيد.

إذ سيشار إلى هذا الكاتب من خلال معينات أساسية، والثقافة ذاتها تعمل عمل مؤلف آخر يصاحب المؤلف المعلن، وبالتالي " يحاول الغذامي أن يميز بين نوعين من المؤلفين، مؤلف فرد وآخر ذو كيان رمزي لعله الثقافة التي تصوغ بأنساقها المهيمنة، وعي المؤلف الفرد، ولا وعيه على حد سواء، ومهما حاول أن يعبر عما يريد فإن أفكاره سوف تنتظم في أطر كبرى تعمل على صوغ منظوراته بمعنى أن المؤلف الفرد هو نتائج للمؤلف الثقافة، والثقافة مؤلف مضمر ذو طبيعة نسقية تلقي بشباكها غير المنظورة حول الكاتب فيقع في أسر مفاهيمها الكبرى"[3].

وبناء على ما سبق يظهر لنا بكل وضوح أن أي نص أدبي يحتاج إلى من يملأ تلك الفراغات التي يتركها المؤلف الفعلي في شكل فضاءات مترامية تنتظر من يحيط بها،

---

[1] سمير خليل، المرجع السابق ص31.

[2] ابن عمر، النقد الثقافي النظرية والمنهج، المحاضرة الرابعة قسم اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، ص02.

[3] سمير خليل، النّقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، المرجع السابق، ص32

ويتدخل بصورة تأويلية كي تتحقق الدلالة الجديرة بالتفعيل والمنوطة بكشف وتعرية ما هو مخبوء.

" إذا، فالنَّص إن هو إلا نسيج فضاءات بيضاء، وفرجات ينبغي مَلْؤُها، ومن يبثه يتكهَّن، بأنَّها (فرجات) سوف تملأ ... ومن ثم، لأنَّ النَّص بقدر ما يمضي من وظيفته التعليمية إلى وظيفته الجمالية فإنه يترك للقارئ المبادرة التأويلية... باعتباره شرطا لا غنى عنه"[1].

وبذلك يرتبط المؤلّف المزدوج ارتباطا وثيقا بالدلالة النسقية، ويؤكد ذلك الغذامي بقوله: "أن المؤلف المزدوج يرتبط بالدلالة النسقية، حيث يعشش التناقض المركزي وتفعل الأنساق أفاعيلها، وتلك هي مهمة النقد الثقافي للكشف والتعرُّف"[2].

أخيرا نخلص إلى القول بأنَّ كل مصطلحات النَّقد الثقافي تصبُّ في معنى واحد، فالنَّسق المضمر ينقسم إلى قسمين، أحدها ظاهر وواع والآخر مضمر مختفي ناتج عن لاوعي الكاتب، وكذلك بالنسبة للمؤلف المزدوج يوجد كاتبين، كاتب يكتب بوعيه والآخر لا واع، هو الذي ينتج النسق الثقافي، أما الدَّلالة النَّسقية نفس الشيء، فهناك أكثر من دلالة، لكن الدلالة النسقية خاصة بالنسق المضمر وهو بدوره، خاص بالكاتب المزدوج، وهكذا فكل آليات ومرتكزات النقد الثقافي تصب في بحر نسقي واحد.

وخلاصة القول في هذا الفصل المفاهيمي أنَّ الأنساق الثقافية هي لبُّ وهَمُّ النَّقد الثقافي، إذ يعتمد هذا الأخير على الأنساق المضمرة المتسترة وراء البنيات الجمالية والبلاغية، وأكثر من هذا فقد انبرى النقد الثقافي بآلياته الجديدة، ومنهاجه النقدي المختلف يتناول مواضيع الثقافة على اختلاف مشاربها داخل النص الأدبي وكان للأنساق الثقافية المضمرة خلف جماليات الخطاب الدور الفعَّال والبارز للانفتاح على مواضيع ظلت ردحا من الزمن في خانة الهامش المخبوء في الذاكرة الأدبية، وما تحمله من تراث ظل في طي النِّسيان، ولا يسعنا من خلال هذه الدراسة النظرية إلاَّ أن نُنَوِّه بما استحدثه وجدَّده الناقد السعودي عبدالله الغذامي في مؤلفاته المذكورة والمهمشة كمراجع ومصادر لا غنى عنها في النَّقد العربي المعاصر.

---

[1] أمبرتو إيكو: القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكاية، تر: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، بيروت 1996، ص63-64.

[2] عبدالله الغذامي، المرجع السابق ص76.

وهذا الفصل النظري يتيح لنا فرص الاستفسار عن أهم الأنساق المختزنة في قصائد الشاعر محمد الصالح خبشاش من خلال البحث في مضمرات الأبيات وخفايا إطاراتها الجمالية والفنية.

الفصل الثاني : تجليات الأنساق الثقافية في شعر محمد الصالح خبشاش

1- النسق الديني

2- نسق المرأة

3- النسق الاجتماعي

4- النسق السياسي

نحاول في هذا الفصل أن نغوص ونحفر في فيافي وأغوار المتن الشعري للشاعر الجزائري محمد الصالح خبشاش* صاحب السَّجيَّة الشِّعرية بلا تكلُّف ولا صَنْعة، إذ يجري النَّظم على لسانه بصورة تلقائية وعفوية، وعن شعريته قال عبدالله ركيبي : محمد الصالح خبشاش إنتاجه غزير وشعره جيد ونفسه طويل، ويعد ممن عبر على هذه المرحلة – العشرينيات من القرن الماضي – بدقة، ونقل لنا الأفكار التي كانت تجول في أذهان معاصريه"[1] .

ولكي تظهر شاعرية محمد الصالح خبشاش ناصعة الصُّورة والشكل، كاشفة لمرامي مضمرة كان لابدَّ من دراسة واستخراج ما خفي من نواحي شملت أنساقا ثقافية، سندرجها ونسوقها وفق ترتيب نسقي واضح المعالم متنوع المحمولات الثقافية ضمن مُنْجَز شعري إبداعي نورده كالآتي :

* محمد الصالح خبشاش (1904 – 1940): هو شاعر وكاتب صحفي، ولد في قرية وادي يعقوب قرب قسنطينة، لازم عبدالحميد بن باديس 08 سنوات، وقرأ عليه، تولى رئاسة تحرير جريدة الحق البسكرية التي أنشأها عريب موسى العقبي في 23 أفريل 1926، له مقالات كثيرة نشرت في جريدة النجاح ومجلة الشهاب، ويعد من شعراء الحركة الإصلاحية في الجزائر.

[1] عبدالله ركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981، ص578.

1-النسق الديني :

إنَّ القراءة المتمعنة والدقيقة في شعر خبشاش تبين لنا أنه قد اهتم في إنتاجه الأدبي بالجانب الديني، حيث دَأَبَ الشَّاعر في الالتزام بالعقيدة الإسلامية، وحرص على تسخير آدابه خدمة للدين الإسلامي ونشر الثقافة العربية الإسلامية المتمثلة في مبادئ الإسلام والعقيدة السَّمحة.

وكان التزامه دينيا قبل أن يكون أدبيا، حيث برز النسق الديني في قصيدة [أخلص لدينك] :

عجبت لقوم أبدلوا الدين بالدنا وقالوا رضينا بالسعادة والهنا
وقد لبسوا في ظاهر العين حلة تروق إليها ربما القلب إذا عنا
وقد طاش سهم الفعل والقول منهم فلم يبتغ الإخلاص والصدق مكمنا
فوازع أقول تعد فصاحة وطالح أعمال يعد لهم قنا
إذا سمح الدهر الكريم بفرصة لإصلاح حال قال قائلهم أنا

ففي هذه الأبيات إشارة إلى إحياء الفكر الإسلامي ونشر المعارف التي تتعلق بالثقافة الإسلامية، فيبدو الشاعر مخلصا تجاه بني جلدته يسعى إلى إصلاح حالهم وأحوالهم، فيذم التفرقة ويدعو إلى الاجتماع وبعث روح الجماعة حتى يخلصهم من براثن الأنانية السيئة المهلكة.

كما أن الشاعر يحذر المسلم من الإكثار من الأقوال التي لا تنفع ولا تسمن ولا تغني من جوع، بل لابد من مصاحبة القول بالإخلاص في العمل وغير ذلك، فهو ردّ وزيغ وضلال، وهنا تتحقق أعلى درجات الإيمان من خلال قول الحسن البصري : " إن قومًا ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نُحْسِنَ الظن بالله وكذبوا لو أحسنوا الظنَّ لأحسنوا العمل[1]. ويواصل الشاعر برد عنيف وقوي على كل من عاند وأراد التزييف، فعرض أهم الفضائل والمحاسن التي خصَّ بها الدين الإسلامي الحنيف الذي جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، حيث يقول في قصيدته [هذيان ملحد[2]] .

إن أراك تلوك لفظا فارغا وتميط عن عطفيك فضلا سابغا

[1] الحسن البصري: تفسير الألوسي(4:239).
[2] رابح طبجون: بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه في اللغة العربية والدراسات القرآنية، سنة جامعية 2005-2006، ص38.

ما دمت لم تحفل بدين محمد هيهات أن تمسي لقصدك بالغا
دين الحقائق والدقائق والعلا فاطلب سبائكه لتحمد صائغا
ما ضر هذا البحر غر جاهل أمسى للجته عقورا ولغا

أراد الشاعر أن يَبُثَّ ويوضِّح لمن ساوره شك (الملحد) في اعتناق الدين الإسلامي، أنَّ العقيدة الإسلامية المحمَّدية تترفَّع عن ذلك وتصحِّح ما شَابَهُ من وساوس وأغاليط شيطانية ستُؤَدِّي به إلى الزَّيغ والضلال، هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ يظهر إخلاص الشاعر تُّجاه دينه ومعتقده وحرصه على أدائه على أكمل وجه وأتم صورة.

ويبرز الالتزام الديني عند الشاعر أكثر حين ينشد في مدح الرسول النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول في ذكرى مولده عليه الصَّلاة والسَّلام في قصيدة بعنوان [محمد[1]] .

قُمْ حَيِّ أحمد في ذا اليوم مبتهجا يا بن الجزائر لا تخشى العذولينا
واعرف مكانته فإنه رجل لا كالرجال فلا تقف الممارينا

أراد الشاعر أن يؤكد على مكانة الرَّسول صلى الله عليه و سلَّم في قلوب المؤمنين، دعا إلى الاحتفاء بذكرى المولد النبوي الشريف المصادف لـ 12 ربيع الأول من كلِّ عام هجري، لِمَا له من مكانة عظيمة عظمة رسالته، وخلال هذه الذكرى النبوية يُلقي العلماء والمشايخ دروسا ومواعظ حول سيرة النبي بإبراز مواقفه والدعوة إلى أخلاقه وتذكير الناس بسنَّته وآثاره العظيمة. ولم يغفل محمد الصالح خبشاش عن الإشادة بأمَّة القرآن باعتبار القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للتَّشريع والهداية في الإسلام، وقد نزل عن النبي صلى الله عليه وسلم هدى ونور للبشرية جمعاء، فيقول مثنيا على أمة القرآن.

خلق الله أمة القرآن وسط حصن مشيد الأركان
إخوة كلهم وحلم وصفو واتـحاد بلفظة الزمان
جسد واحد فإن زال عضو قبحت صورة وحق المثاني
فمتى القوم يفقهون (حديثا) وكلاما مؤيدا بالبيان

[1] رابح طبجون: بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه في اللغة العربية والدراسات القرآنية ، المرجع السابق، ص38.

يواصل الشاعر تمجيده لأمة محمد ρ ؛ المسلمون عموما الذين يؤمنون بالله ورسوله، ويعتنقون الإسلام دينا، ويتبعون ما جاء في القرآن الكريم، ففيه دعوة إلى الأخوة كما قال تعالى : " إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَة "[1].

وقوله عليه الصلاة والسلام: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجيد بالسهر والحمى"[2].

كما أن الشاعر خبشاش يفصح ويقرُّ أن شهر رمضان هو من أعظم الشهور بركة وطيبا، وقد خصه الله بفضائل عظيمة، فقال في قصيدة بعنوان : [رمضان الأكرم[3]].

رمضان شهر طيب في المؤمنين محبب
أيامه قد أشرقت بالأمس يا مرتقب
فيه التراحم والأخو ة والطريق الأصوب
والصوم يكفل صحة حسنى ففيه تطبب
شهر العفاف لذلك فهو إلى السلامة أنسب
هذا هو الشهر الذي فيه الرذائل تحجب

فنجد الشاعر في هذه الأبيات يمجِّد شهر رمضان ويدعو إلى ضرورة صومه، واغتنام أيامه بالِّذكر والسعي وراء الأعمال الصالحة؛ لأن الصيام يربي النفس على التقوى ومراقبة الله، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامَ كَمَا كُتِبَ عَلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" [4]

وتتجسّدُ العقيدة الدينية في شِعر خبشاش إلى حدّ أنها أصيلة و متأصلة فيه منذ نعومة أظافره فقد " لازم عبد الحميد ابن باديس ثماني سنوات، و قرأ عليه[5]"، خاصة وأنه تشرّب وتجّرع في معين الحركة الإصلاحية من خلال دروس الإمام عبدالحميد بن باديس بقسنطينة أيام شبابه.

[1] سورة الحجرات، الآية 10.
[2] الإمام أبي الحسن مسلم، صحيح البخاري، دار الآفاق العربية، 2005م، ص1087.
[3] رابح طبجون، المصدرالسابق ، ص267.
[4] سورة البقرة، الآية 183
[5] أحمد سيد أحمد : المختار في الأدب و النصوص و النقد و التراجم الأدبية ،للسنة الثالثة ثانوي ،المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1985/1984.

ونُنَوِّه مرَّة أخرى إلى أسمى معاني الأخوة و الاتحاد ، والتآزر التي أشاد بها خبشاش في أعظم مناسبة احتفالية ، لبعث الراحة ، والبهجة على النفوس؛ وهي عيد الفطر المبارك قائلا :

هلمّ إلى الحمد المشفّع بالشكر على نعمة الإسلام في السرّ والجهر
وكبّر ليوم فيه للدين هيبة وصلّ صلاة العيد في حلّة الأجر
فقد خرجوا نحو المصلى وعنده أقاموا صنوف الأتحاد على البرّ
وسعى الكل مرتاحا لأبهج منظر تخلله ما في القلوب من البشر

فالشاعر من خلال عرضه لهذه الأبيات يشير وبِعُمْق للنّسق الديني ،باعتبار الدين الإسلامي متغلغلا في نشر حضارة وثقافة تسمو وترقى بقيم ومعتقدات تزداد تقديسا وروحانية، كلما ازداد تأدية مختلف المناسك ، و الفرائض تقرّبا إلى الله و تأسيّا بِسُنّة نبيّنا محمد صلى الله عليه و سلّم .

ثـانيا : نـسـق المرأة :

تَنْفرِدُ المرأة العربية بمميزات تغيب عن شريكها الذَّكر ولا يمكن أبدا أن تتوفر فيه من لِين ورقَّة وعواطف، كان لها الدَّور البارز والمنوط في بناء الخطاب الشعري، فهي الأم والمربِّية والزوجة والأخت؛ إنّها الأنثى بأسمى معانيها وصفاتها، فقد جاء في لسان العرب مضمون الأنوثة بقوله" الأنثى خلاف الذَّكر والجمع إناث وأنثُ: جمع إناث، كحمار، حُمُر وفي التنزيل العزيز: " **إن يَّدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَـاثًا** "[1].

وقُرِئَ إلا أُنُثا ، جمع إناث مثل تِمَار وتُمُر؛ ومن قرأ إلا إناثا، قيل أراد إلا مواتا مثل الحجر والخشب والشجر والموات، كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث، ويقال للموات الذي هو خلاف الحيوان، الفراء: " تقول العرب اللاّة والعزى وأشباهها من الآلهة المؤنثة"[2].

لقد كانت البدايات الأولى للشاعر في عالم الشعر رومانسية عاطفية، رغبة منه في التغيير من حال إلى أحسن حال، حيث أبدى أحاسيس صادقةّ، وعواطف جيَّاشة اتجاه المرأة الجزائرية، إبَّان تلك الفترة الاستعمارية وهو لا يزال في ريعان شبابه في سن الثالثة والعشرين من عمره، وتستوقفنا هنا قصيدة (المرأة الجزائرية والحجاب) لمحمد الصالح خبشاش كنموذج فيقول ثائرا :

تركوك بين عباءة وشقاء مكؤوبة في الليلة الليلاء
مغلولة الأيدي بأسوإ بقعـة محفوفة لكتـائب الأرزاء
دفنوك من قبل المماة وحبذا لو مت قبل تفاقم الأدواء
مسجونة مسجورة محرونة محفـوفة بملاءة سوداء
ماذا جنيت على الزمان وأهلـه حـتى رموك بطعنة نجلاء
لهفي على الجنس اللطيف تداولت عنه الرياح بأرضنا الجذباء
لهفي على العرب الحـسان أنوارهن فتهن قيد عناء
لهفي على بنت تعـيش شقية حتى تصادف هادم السراء

[1]-سورة النساء ، الآية 117.
[2] ابن منظور، لسان العرب، دار الصبح وإديسوفت، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص214.

الشاعر في هذه الأبيات يوجه نقدا لاذعا لتلك التقاليد والأعراف البالية التي سجنت المرأة الجزائرية فحرمتها حريتها ردحا من الزمن، فظلت تعاني بين جدران المنزل العتيق، وسلطان الرجل الطاغية المستبد فلم يترك لها ولو بصيصا من الأمل، إذ حرمها من أدنى حقوق العيش في المجتمع يدين بالدين الإسلامي، حفظ للمرأة حقوقها وصان عرضها، ويتجلى ذلك في قول الحق تبارك وتعالى : "للرجال نصيب من اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن"[1].

وقد أكّد النبي (ص) ضرورة المعاملة الحسنة للمرأة والرفق بها فقال : " رِفْقا بالقوارير"[2].

ويواصل الشاعر خبشاش في قصيدته المرأة الجزائرية والحجاب نقده لمن يريد الاستهانة بقدر المرأة، وحالة التهميش إلى درجة الاحتقار لما قارنها بالمرأة الغربية وما وصلت إليه من احترام وعلو مكانة إلى جانبها الرجل فقال :

الغرب قد سئم السبات فكسر الأ غلال فاستعلى على الجوزاء
والشرق قد ألف السهاد وطالما رام النهوض فناء بالأعباء
فسطا عليه الغرب سطوة مارد حتى هوى إلى الهوة التعساء
وأذاقه سوط العذاب صبيحة وعشية من غير ما جراء
وأتى بقانون له متشعب متلون كلون الحرباء
ما ذاك إلا للجهالة بيننا وغباوة الفتيات والأبناء
فإلى متى هذا الحجاب إلى متى أإلى التلاشي أم ليوم لقاء

فنَجِدُ الشاعر في هذه الأبيات يُثْنِي على الحضارة الغربية وما وصلت إليه من نهضة وتحضُّر ورفاهية، لما حُرِّرت المرأة وساوت بينها في جميع فرص الحياة الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية، بينما على العكس من ذلك لأبناء يعرب فقد أسروا المرأة ونكّلوا بحياتها أيّما تنكيل، لكن الشاعر محمد الصالح خبشاش تصدى لكل هذه المؤامرات الزّائفة ضدّ المرأة الجزائرية ، وحتى العربية ووقف إلى جانبها ودعا إلى الانفلات من ربقة الهيمنة والأسر، ضاربا عرض الحائط كل ما له علاقة بتقييدها، والإمساك بها بين أربعة جدران،

[1] سورة النساء الآية 32.
[2] رواه الطبراني في "المعجم الأوسط "٧٤٦٤ (عن أنس بن مالك رضي الله عنه)

وأكثر من ذلك أراد أن يبث أفكاره حول تحرير المرأة إذ وصل به الحد إلى أن ينزع هذه النزعة التي كان لقاسم أمين *المصري السَّبق في ذلك رغم الظروف غير المواتية والمشارب المختلفة بين الشاعرين.

ويوجه محمد الصالح خبشاش لومه وعتابه للنخبة الصالحة في تلك الفترة التي التزمت الصمت رغم ما حِيك ضد المرأة من تحريم ومنع لخروجها طلبا للعلم والتعلم فقال :

فهل الشريعة حرمت تعليمها يا نخبة الأشباح والصلحاء
إن كان ذاك فبينوا بحقائق قطعية ليماط كل رداء

وبذلك نلتمس من الشاعر دعمه ، ودعوته لحتمية تعليم المرأة ووجوب خروجها لذلك فهو حق من حقوقها الاجتماعية وحقيقة قطعية أثبتها الشارع الحكيم في " أول آية نزلت في القرآن الكريم وأول إشارة نورانية لانطلاق شمس الهداية وانبلاجها على البشرية كانت : " اقرأ باسم ربك الذي خلق" [العلق : 1] ؛ فدل ذلك على مكانة العلم وشرفه في الإسلام لأن رسالة الإسلام هي رسالة العلم، ورسالة تحرير البشرية من الجاهلية والتخلف والظلم، فهل يماري بعدها جاهل أو حاقد في هذا الحق للجميع وليس للمرأة وحدها[1].

وبالتالي، فنسق المرأة المستشف من البيت السالف الذكر يتمثل في ضرورة رفع اللثام عن تلك العادات والأعراف السيئة التي لفقت للمرأة ولم تسلم منها طيلة حقب زمنية ولَّت، لكن الشاعر كان بالمرصاد لهذه الهجمات الشرسة، فأراد أن يوقف لهيبها، ويحد من شرارتها ليثبت أنه من دعاة أحقية المرأة في التعليم والدراسة حب من حب وكره من كره.

وعلى هذا الأساس، تعتبر قصيدة المرأة الجزائرية والحجاب للشاعر الجزائري محمد الشاعر خبشاش أول قصيدة سطع بها نجمه الشعري، وصِيته الأدبي وسمعته الفنية وقريحته الخيالية، فقد أحدثت ضجة منقطعة النظير في الأوساط النقدية العربية؛ باعتبار المرأة " إنسانة تستحق العطف والرثاء"، فقد تركوها بين عباءة وشقاء ... ولا أن تشارك في الحياة لأنها مسجونة وراء الحيطان، محرومة من كل شيء"[1].

* قاسم أمين (1863-1908) اشتهر بأنه زعيم الحركة النسوية في مصر ومحرر للمرأة ، كما اشتهر بدفاعه عن الحرية الاجتماعية وبدعـوته لتحقـيق العدالة، أخرج كتابه (تحرير المرأة) سنة 1898 م، وفي سنة 1980 م كتابه في الـمرأة الجديدة.

[1] عبدالله الركيبي دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص14.

فنجد الشاعر ينزع إلى تحرير المرأة من براثن الجهل والتخلف والشقاء، فيدعوها إلى النهوض واليقظة لمسايرة الركب الحضاري والمدنية الجديدة.

ثالثا / النّسق الاجتماعي

النّسق الاجتماعي عبارة عن نظام أو إطار تُنظَّم من خلاله العلاقات والتّفاعلات بين الأفراد والجماعات، وقد تناوله عدد من عُلماء الاجتماع بتعريفات مختلفة نذكر من خلالها تعريف (Talcott Parsouns) تالكوت بارسونز للنّسق الاجتماعي" على أنّه يتألف من فردين أو أكثر، يتفاعلون بعضهم مع البعض الآخر على نحو مباشر أو غير مباشر في ظل موقف معين يمكن أن تحكمه حدود فيزيقية إقليمية ومجموعة من المراكز والأدوار الاجتماعية" ويعرّفه في موضع آخر بأنه : "عبارة عن مجموعة كبيرة من التفاعلات التي تقوم بينهم علاقات تفاعل اجتماعي في موقف معين"[1].

وقد يتّخذ مظهرا فيزيقيا أو شيئا، ويتّجهون

نحو تحقيق الإشباع الأمثل لحاجاتهم، كما تتحدد علاقاتهم الاجتماعية عن طريق بناء ثقافي مميز ومجموعة من الرموز المشتركة "[2].

بمعنى أنّ النّسق الاجتماعي هو عبارة عن كينونة اجتماعية داخل حدود جغرافية تجمعهم علاقات اجتماعية مباشرة، وغير مباشرة في تبادل الأفكار والمعلومات والسلوكيات ، وبذلك يتجلى النسق الاجتماعي من خلال احتكاك الشاعر المتواصل والدائم بشرائح المجتمع، من عمال وفلاحين ، و مثقفين ، و أدباء ، و غيرهم ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ، قد عاش حياة البؤس الحرمان فحاول خبشاش من خلال قصيدة (فقيرنا)[3].

وصف إعراض الجميع عنه، ودعا أبناء المجتمع المثقف إلى احتضانه ورعايته فقال :

قد ظلّ يسأل و الإخوان تردعه ذو فاقة بات و الغبراء مضجعه

ما زال يشهد أدوارا مروعة لا سامح الله من بالزجر يوجعه

إن الخصاصة قد خصت بأمتنا كأنما الفقر في ذا الشعب مصنعه

لا تستلقوا من المدرار قطرته فكل كثر بدأ فالضعف منبعه

[2] محمد عبدالمعبود الدولي مراكشي : علم الاجتماع عند تالكون بارسونز، ص102-103.

[3] رابح طبجون : الواقع الشعري في كتابات محمد الصالح خبشاش، ص 42.

أراد الشاعر من خلال هذه الأبيات التي نسجها على بحر البسيط وميزها بإيقاع متناغم وسلس حتى يولّد مجالا فسيحا لتمرير رسالته المتمثلة في معالجة أوضاع الفقراء و حالتهم المزرية ، فصبّ جام غضبه وسخطه على الذين يريدون تفقير الشعب، كما نلمح ظاهرة التّناص في البيت الثالث عند استعماله للفظة الخصاصة* حيث وردت في قوله تعالى: "ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة"[1]، وهذا التناص قوي جدّا من خلال الدلالات التي تحملها كلمة خصاصة من إيثار و تضحية، فهناك إذن سمو أخلاقي رغم الشدة والمسغبة، وهنا يظهر النّسق الاجتماعي بالخصوص في هذا المعنى؛ إذ أبدى الشّاعر غضبا شديدا، وعدم رضاه عن أحوال الفقراء البائسة ،علّه يجد علاجا شافيا ومخرجا، وآذانا صاغية لعلّ وعسى يسود التكاثف، وتعمّ ثقافة التعاون، والتآزر مهما اختلفت المقاصد، وانعدمت العدالة الاجتماعية.

كما حرص الشاعر محمد الصالح خبشاش حرصا شديدا على دفع أبناء الشعب الجزائري للتسلح بالعلم، والثقافة، والمعرفة ، وحاول مكافحة الجهل ، والأمية التي تفشّت في المجتمع الجزائري آنذاك ، فخاطبهم في قصيدة :(أنجا لكم) [2] فحواها معالجة ظاهرة الأميّة التي راجت بين مختلف فئات المجتمع قائلا :

لمّا تبين وأنجلا أنّ العلوم بها العلا
فدع العذولا فإنه في عذله ما أجملا
ومن البليّة أن ترى ولو صغير مهملا
والنّاس في إهماله قد أودعوه إلى البلا

نجد الشاعر في أول الأبيات قد حاول جلب انتباه المتلقّي، ليجعله متعلّقا بالنص، حيث أضفى على البيت الأول مسحة جمالية في كلمتي (أنجلا، العلا)، فانتهاء الكلمتين بالألف الطويلة دلالة على أن هناك إحساس بالألم، والحسرة وقد زاده التصويت بالألف الممتدة "لا" مرارة على مرارة، ليصل به المقام؛

* التناص هو تفاعل نصوص مع بعضها البعض ، بحيث يستحضر الكاتب أو الشاعر ألفاظ ، أو معاني ، أو نصوص سابقة (دينية ، أدبية ، تراثية) ، أي النص يتكلم مع نصوص أخرى.

[1] سورة الحشر : الآية رقم 09 .

[2] رابح طبجون ؛ المرجع السابق، ص62.

كنسق اجتماعي يتمثل في تثقيف الناشئة، وصونهم من عدوى الجهل والأميّة المتفشية آنذاك.

وإضافة إلى ذلك، فقد حاول الشاعر أن يلفت انتباه القراء والمهتمين أملا في وقف زحف ظاهرة الأمية، في المقابل نشر التعليم والدعوة إلى إنشاء المدارس، فيواصل الذود عن تعليم الناشئة الصغار فيقول في قصيدة : " علّم ولدك[1]".

إذا أحسنت البنيـــــــنا فقد أهديت للوطن الثمينا
فدلّل للمعارف كل صعب ولا تقنط وكن شهما ركينا
عسى الزمن البخيل يسوق نصرا وإن كنّا أسأنا به الظّنونا
فشعبك إن دنا للعلم أمسى كظمآن آتى ماء معـينا
فزج النجل للتعليم كيـلا تجند له خمور الأندرينا
مدارس كالمناهل منعشات بكـــــوثرها عقولا للبنينا

الشاعر هنا يختم هذه الأبيات بأسلوب بياني يتمثل في قوله (مدارس كالمناهل)، وهو تشبيه زاد المعنى عمقا ووضوحا، ومن هنا يظهر الجانب الخفي من وراء ما كان يدعو إليه خبشاش؛ وهو أن التعليم طريق النجاح، والتعلم، وبلوغ أعلى المراتب.

ولقد تدفقت مشاعر الشاعر وخياله، في متنه الشعري، فتناول شعر الرثاء ممزوجا بالظروف المزرية التي مرّ بها الواقع المر الذي تعانيه البلاد في تلك الفترة، فعمّ الشّقاء والقلق والحزن، فقد رثى (منكوبي وهران) بقصيدة عنوانها "دمعة على منكوبي الطوفان بأيالة وهران"[2]، فقال :

خلق المرء جشوعا فـإذا فإذا مسّه السّوء تعالى وكفر
كلما أوغل في مجشعه مـاله الدهر لكي ما يعتبر
هذه كـارثة حلت بنا تركت في النفس مزروء الأثر
تركتنا في اضطراب وأسـى نحن منهما لا نطيق المصطبر

نلمس في هذه الأبيات الشعرية، نقلة للواقع الإنساني والاجتماعي من هموم وجراح وكوارث، إذ تدل مفردة (كارثة) على مدى البؤس والصعوبة التي ألمت بسكان أيالة وهران

[1] رابح طبجون، المرجع نفسه، ص62-63.
[2] المصدر السابق، ص170.

جرّاء نكبة الطوفان العاتية، فلم تبق ولم تذر، لكن رغم كل هذه الظروف القاسية إلاّ أنّ المخرج والتغيير سيتحقق لا محالة مهما طالت أو قصرت أيام المحن.

ثم يختتم القصيدة بدعوة كل أفراد المجتمع الجزائري لمواساتهم والوقوف إلى جانبهم :

أيها الناس ارحموا إخوانكم أنقذوهم ها هم تحت الضرر

هاهم إخوانكم قد لجأوا لذرى الأحبال من هول القدر.

هاهم لم يجدوا خبزا ولا رقعة بـالية للمستتر

ألف نفس بعد ألف ذهبوا شهداء السيل والرسم اندثر

لا ترى في الحي إلا طفلة أو صبيا وسط هاتيك الحفر

أتت الفلك لكي تنقذهم فإذا السيل على الفلك انتصر

يستهل الشاعر هذه الأبيات بأسلوب بلاغي قوي ومؤثر، حيث يجمع بين عدة عناصر إنشائية تهدف إلى التأثير العاطفي والتحفيز الأخلاقي، محاولة لفت انتباه المخاطبين، وتوجيه الخطاب إليهم بشكل مباشر، عن طريق أسلوب النداء " أيها الناس" فيشعر السامع بأنه معني بالخطاب، مما يؤهّله لتلقي الرسالة، بتركيز واهتمام، كما أنّ هناك أسلوب أمر " ارحموا" لطلب الرحمة، والتعاطف مع إخوانهم، وإشعارهم بالمسؤولية اتجاههم، وبذلك فإنّ ما نستشفه من أنساق اجتماعية مضمرة أنه هناك معاناة وقساوة تعرّض لها أبناء وهران، جرّاء الفيضانات التي فاجأتهم، إنّهم لا يحتاجون إلى يد العون والمساعدة فقط، بل لابد أن تشملهم الرحمة بنشر روح التعاطف وتوطيد رابطة الأخوة، لأنّ المصيبة أعظم مما تتصوّر، والكارثة بمثابة عاصفة هوجاء، أتت على الأخضر واليابس.

وظّف الشاعر قصائد تحمل في طياتها أنساقا اجتماعية استخرجناها مما كانت مختفية وراء البنيات الجمالية وتتمثل في واجب المساندة والنظر إلى حال المنكوبين بعين العطف والرحمة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالرجوع إلى أوامر الرسول (ص)" **الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) "**[1].

[1] رقم الحديث في سنن الترمذي :كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين (1924)، حكم الألباني :صححه الألباني في" صحيح الجامع" (3522).

1.4. النَّسق السِّياسي :

يعتبر الشاعر محمد الصالح خبشاش رائدا بقلمه ولسانه، حيث سخَّرهُما للذَّود عن مكامِنِه الوطنية، ومبادئه الثَّابتة، المُوغِلة في روحه ومخيِّلَتِه، فكان دوما يسعى إلى التَّغيير لتحقيق غَد أفضل ومستقبل مَنْشُود، فكان ثائرا مُتَحَسِّسا لواقع أظلمه المستعمر، المستبد على شعبه؛ وبني جلدته، فحاول مواصلة الحركة التحررية بوعي وحمية، وسط عَتَمَة من القنوط واليأس القاتلين إبَّان تلك الفترة، زِيادة على نشاطه الصِّحَفِي وإصْرَارِه على متابعة الأحداث والوقائع السِّياسية، فقد "تولَّى رِئاسة تحرير جريدة الحق البسكرية التي أنشأها على يد علي بن موسى العقبي 22 أفريل 1926"[1]. فكان له السَّبْق في نشر أشعاره ذات الاتِّجاه السِّياسي، وصف فيها مختلف المظالم، والاعتداءات التي شُنَّت على الجزائر وشعبها الأعزل، ورغم ذلك كانت تخرج في معظم الأحيان مُنْتصِرة، على قُوَّات العدو المعادية للعروبة والإسلام.

إذن ففكرة تغيير النِّظام والتنازع لتحقيق حكم عادل وسوي دَيْدَنُ الشُّعوب العربية، التي عانت لفترة طويلة الظلم والاستبداد، ولا يَتَأَتّى هذا إلاّ بِمُسايرة مختلف التغيّرات والتَّطورات والمستجدات التي تطرأ على الساحة السياسية، كما يؤكد ذلك الدكتور عمار بوحوش في كتابه التاريخ السياسي من البداية ولغاية 1962 بقوله :"إن حصيرة التفاعلات الاجتماعية والتطورات الاقتصادية، والتحولات الثقافية والإجراءات الإدارية، وهي التي تحدد لنا وظيفة الكيان السياسي لأي شعب، فتبرر لنا الصفات التي اكتسبها والأشكال التي انتهى إليها، والأطر التي حاول التعبير عن نفسه من خلالها"[2].

كما أنّ بارسونز Parsouns يصف المجال السياسي على وجه الخصوص بـ "اتخاذ القرارات الملزمة بشكل جمعي، أي يتعيّن على السياسة أن تكون قادرة على قرارات ملزمة جمعيا في لحظة اتخاذها أي أن يعترف بها، وأن تلقى الدعم، فتكون بالتالي مقبولة... فتكون بهذا المعنى منجزة"[3].

---

[1] أحمد سيد محمد، المختار في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية، السنة الثالثة ثانوين المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 84-85، ص16.

[2] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، من البداية لغاية1962، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997،ص1.

[3] نيكولاس لوماس، مدخل إلى نظرية الأنساق ترجمة يوسف فهمي حجازي، منشورات الجمل، ط1، بغداد 2010، ص45-46.

إنّ السِّياسة نسق ثقافي تُرَسِّخ قِيَما ومبادئَ يسعى الإنسان إلى تحقيقها وتجسَّدت من خلال إيقاع الرُّؤْية الشِّعْرِية التي بَرَزَت وساقها لنا الشاعر خبشاش عبر ألفاظ تَحْمِل معان مؤثِّرة في النفس بعمق ورَوِيَّة، ها هو الشاعر يصور الوضع السياسي إبَّان الاستعمار الفرنسي، وما شَهِدَه شعبه، من ظلم واعتداءات سافِرَة فيقول:

" قطر الجزائر لم يزل مكلوما متطلبا شيئا موهوما
فبلوم وفيوليت قبلا حررا برنامجا لبلادنا مرسوما
قطع الكلام لأجله بوزارة منحلة فتخاله شؤوما
برنامج ما ذاق شعب طعمه وأظنه قد أشبه الزقوما

لقد أحسَّ الشاعر من خلال هذه الأبيات بعواقب رسمها العدو المستهتر فكانت خيبة أمل وأوهام، لا طائل من ورائها، بعدما كان الشعب الجزائري ينتظر تحقيق طموحاته في الحرية، والأمن، والاستقرار، لذلك فالنَّسق السياسي مجسد وراء البنيات الجمالية لهذه الأبيات يتمثل في صُمود ومواجهة أبناء الشعب الجزائري لتحقيق غَد أفضل وحياة مِلْؤُها الاستقرار والطُّمأنينة، مهما كَلَّفَهُم الغالي والنَّفيس. وفي قصيدة بحر السياسة[1]، يحاول الشاعر أن يستلهم أخيلته من الطبيعة المحسوسة فيقول :

" بحر السياسة تعلوه الأضاليل فاحذر فكم تحرفت به الأساطيل
فمن غذا والـموج يقذفه لاشك ينذبه نكد مناكيل
فكن حكيما أديبا ليس يعوزه حزم ولا نظر والأمر معقول
واربأ بنفسك أن تحطوا على عجل ولا تغرنك أفكار المهازيل
إن العقول قناديل فإن صلحت ألقت أشعتها تلك القناديل
خير العقول دام مركزها لا يعترهن تغيير وتبديل
لقد نصحتك فالق السمع معتبرا ولا تظن أن الأمر تهويل

وردت الكناية في بداية القصيدة في قول الشاعر بحر السياسة، وهي كناية عن الأمواج العالية العاتية، فهي دائمة التقلب والتغيير؛ إذ تشترك السياسة مع البحر في عدم الاستقرار في المواقف والقرارات وذلك لتمرير الرسائل في قالب يخدم أهل السياسة ومواقفها المخزية، ومن ثم فالنسق السياسي المضمر في هذه الأبيات هو عدم الانسياق وراء قرارات

[1] رابح طبجون، ص222.

السياسة الكاذبة فلابد من التعقّل واتخاذ الأمور بمأخذ الجد، وضرورة التَّمحيص، وتجنُّب كل ما له علاقة بالأكاذيب، والافتراءات والأضاليل.

ولقد خاض الشاعر محمد الصالح خبشاش أهم موضوعات سياسية وبالخصوص ما يتعلق بالنيابة والنواب الذين كانت تُعَلَّق عليهم الآمال في دفع المظالم ورفع الغُبْن عن أبناء الشعب الجزائري، فيقول في قصيدته الموجَّهة إلى الأحزاب :

دعوتهم إلى عفو وصفح وفي الإرشاد أنزفة المحابر[1]
فلا أدب ولا وعظ بمجدي ولا شعر يقال على المنابر
فيا عجبي ويا أسفي عليهم كأن القوم من أهل المقابر

الشّاعر في هذه الأبيات يتأسَّف ويتعجّب للمآل الذي ينِمُّ عن عدم الاكتراث لحقوق أبناء الشعب، رغم وجود من يدافع عنه، فهو ابتلاء عظيم خاصة وأن ممثلي النواب يخدمون أكثر المستعمر ومصالحهم الخاصة، لذلك نكشف أن النسق السياسي المضمر لهذه الأبيات هو معاناة أبناء الشعب في مرحلة معينة تحت غطائين فاسدين؛ جبروت المستعمر، وخيانة النواب الجزائريين الممثلين لهم .

وللشاعر خبشاش مواقف وطنية تحت غطاء سياسي ضد المستعمر الظالم المستبد، وأفكاره الهدَّامة مما أوقع أبناء الشعب الجزائري في وضع خطير ومدمِّر لكلِّ مقوِّماته ، وثوابته الوطنية، فقد تصدَّى له بتحدّ، وجرأة منقطعة النَّظير بقوله :

جهل وفقر وأخلاق ملوثة بالكفر فهو رهين البؤس والنقم
يا راجح والإسلام راشده هل من طبيب يداوي القطر من سقم

إنَّه موقف شجاع وجَرِيء، فقد تصدَّى الشاعر لعنجهية استعمارية، تحمل في طِيَّاتها كلّ أنواع الغطرسة والظلم والفساد، ولذلك فقد تدججت أشعاره بنسق تمثل في ردِّ المظالم للدّفاع عن الحق المسلوب وتقرير المصير لشعب أبى إلاّ أن يصنع مجده، ويحقق أمله المنشود. وقد أعطى محمد الصالح للقضية الفلسطينية وشعبها المغلوب على أمره الأهمية القصوى، فشاركهم آلامهم وأحزانهم، ومحنهم، كما تغنى وسعد بأفراحهم فنظم في هذا الشأن

[1] المصدر السابق ، ص 47.

قصائد سجلت مواقف مأساوية من جهة وبطولات وانتصارات عن العدو الصهيوني من جهة أخرى، اتجه في بعضها اتجاها عربيا خالصا والبعض الآخر تجلى
فيها الروح الإسلامية السامية.
ويبين الاتجاه العربي للشعر في قصيدة "فلسطين المشطرة"[1] حيث يقول :

ظلموك يا مهد العلا ظلموك وبصارم العدوان قد قسموك
أصبحت ميدان الحوادث بعدما هاجت عليك مطامع الصعلوك

نستشف من هاتين البيتين نخوة عربية متأججة في أوصال الشاعر خبشاش وهي بذلك استنهاض لهمّة وعزيمة القومية العربية من أجل تحقيق هدف أسمى، وهو الدفاع عن الأرض المقدسة للفلسطينيين، والوقوف في وجه العدوان الصهيوني الظالم الذي أعدّ العدّة للقضاء على العروبة وثوابتها، وقال أيضا في قصيدة بعنوان " قصيدة فلسطين"[2].

تفاقم أمرها صبحا ومساء وما وجدوا بحالتها دواء
وقالوا في الإمكان حلا إذا نور التفاهم قد أضاء
ومادام الكلام كلام رهط يسوق لها المصائب كيف شاء
فلا حل يرجى في بلاد من التوقير ما لبست رداء

لقد استخدم الشاعر ألفاظا ذات دلالات أليمة وموجعة نظرا لهول الكارثة وعمقها، مثل تفاقم، المصائب، يسوق ... إلخ.

ثم عمد الشاعر إلى استعمال أسلوب التكرار في الألفاظ بقوله (الكلام كلام)، لترسيخ المعنى وتثبيته في الذِّهن واعتمادها على محسِّنات بديعية بصورة عفوية كالطباق في قوله صبحا ومساء، وهو طباق الإيجاب، فعلى الرغم من وجود التَّضاد والتباعد إلاَّ أنَّه يسوق القارئ إلى الانسجام والتفاعل، وشدَّ الانتباه لوضع مأساوي يحتاج إلى التغيير.

فالنَّسق السياسي الذي نكتشفه من خلال هذه الأبيات يتمثل في إبداء روح الغيرة للدفاع عن الأرض المقدسة لإحياء الضمير العربي والذود عن النخوة والغيرة العربيتين، الضاربة جذورها في الأعماق، كما يتأسف الشاعر على حال الأمة العربية التي خيم عليها

[1] رابح طبجون ، ص 55.
[2] المصدر نفسه ، ص 56.

السكوت وكأن الأمر لا يهمهم وذلك هو االعار والرضوخ، وبالتالي احتدم الفساد والخذلان . وواصل الشاعر يتوعد المحتل بمصير أسود ونهاية لا تحمد عقباها في قوله :

رويدك، أيها الجبار ! مهـلا أترجو أن تدام ولن تبارى؟
إذا ما صحت العزمات منا سنلقي الصدمة الكبرى نهارا

لقد استهلَّ خبشاش هذه الأبيات بوعد ووعيد للمحتلّ الغاصب، فاستعمل في بداية البيت الشعري كلمة (رويدك) وهي من الأساليب العربية الفصيحة القديمة والتي تعني تمهّل أو تأنّ، فحاول الشاعر أن يحذِّر المحتل من نتائج كارثية بعد العدوان الجائر على الشعب الفلسطيني، وسيكون الرد عنيفا وأقوى، فلا تغرنك القوة الزائدة والظلم السافر، وللشاعر محمد الصالح أمل كبير في النصر، لتخليص فلسطين من الهيمنة الصهيونية، فتسلَّح بالصّبر والمصابرة كأسلوب مواجهة إذ حوَّل الصِّراع إلى مطلب ديني إسلامي، باعتبار مسجد القدس مسرى الرسول عليه الصلاة والسلام فيقول "ظاهرة جديدة"[1].

فلسطين نبض المسلمين حزينة بما حل فيها من مفاجآت الضرر
وطائرة فوق المساجد حلقت وأخرى تبدت في السماء على الأثر
لتنذر عربا بالوبال لأنهم أبو قسمة لاشك يعقبها الشرر

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن الشاعر تفاعل بروحه وأعماقه مع القضية الفسلطينية رغم ما يحدث في بلده الجزائر من ظلم وعدوان المستعمر الفرنسي آنذاك، والذي أذاق الشعب شتى ألوان التعسف والطغيان، لقتل الروح الإخماذية في الجزائر وإخماذها"[2].

وبذلك نستطيع أن نقول بصفة عامة أن الشعر الجزائري برمته قد اهتم شعراؤه بقضايا الوطن، دون أن ينسو القضايا القومية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، فالشاعر محمد العيد آل خليفة قد حركته أحداث فلسطين خاصة ثورتها سنة 1926، وأثارت في نفسه شجونا وآلاما، فراح يصب جام على (بني التايمز)، الذين جاروا على شعب عربي أصيل، ووقفوا ينظرون إلى فلسطين كيف تذبح بيد عصابات صهيونية دون أن يحركوا ساكنا "[3].

[1] رابح طبجون، المرجع نفسه، ص 44.
[2] عبدالله الركيبي، دراسات معمقة في الشعر العربي الجزائري الحديث، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر 2012، ص28.
[3] عبدالله الركيبي، المرجع السابق، ص29.

وختاما لما قدّمناه من تعدد وتنوع للأنساق **الثقافية** التي أوردها الشاعر محمد الصالح خبشاش في أبياته الشعرية، حاولنا الكشف عنها وإظهارها فقد تواجدت وبعفوية ، من خلال سيطرة الواقع الاجتماعي والسياسي وغلبتها على شعره فاندفع قدما لمواجهة الواقع المرّ الذي أراده المستدمر الفرنسي ، فسخّر له شتّى السبل و المكائد السياسية، و الاقتصادية ، والثقافية ، لكنّ الشاعر بحكمته ،وحنكته الاصلاحية التي من خلالها يدرك الشعب فحوى رسالته بحرصه الشديد على استعمال لغة شعرية سهلة الفهم لتأخذ مباشرة طريقها إلى قلوب العامّة من الناس .

لذلك لقد ضمّنت أشعار خبشاش محمولات ثقافية ؛ بدءا بالنسق الديني ، فاهتمّ بنشر الثقافة الإسلامية حيث التزم وحافظ على الشعائر الدينية دون تقصير ،أمّا نسق المرأة فنجده قد حاول أن يخرج المرأة من جبروت السّلطة الذكورية، ليحرّرها و يضعها على سكّة البناء والتعمير إلى جانب الرجل، وللنسق الاجتماعي شؤون وفنون ، فلقد صبّ الشاعر اهتمامه على معالجة ، وإيجاد الحلول المناسبة لما أصاب المجتمع الجزائري من بؤس، وحرمان ، وشقاء في تلك الفترة العصيبة ، فحاول إصلاح ما أفسده الدّهر.

أما عن النسق السياسي ، فقد خاض فيه الشاعر بكل جوارحه ، باعتبار ممارسته ، واقتحامه لعالم الصّحافة ، حيث كان له الفضل في رئاسة جريدة الحق البسكرية ، كما أنّه من شعراء الحركة الإصلاحية – كما سبق ذكره في ثنايا البحث – ونظرا لاهتمامه الكبير بما يحدث في الجزائر ، من تداعيات، وأحداث وطنية رتّبها المستعمر الفرنسي أملا في زعزعة أركان المجتمع الجزائري، وإدخاله في دوّامة لا مخرج منها ، إلا أنّ الشاعر محمد الصالح خبشاش بنشاطه الأدبي، وحضوره القوي في الساحة السياسية، وتحدّيه للسلطات الفرنسية الجائرة، أبدى موقفا شجاعا ،و بسالة لا نظير لها، فتصدّى ، وواجه ، و ناضل بأشعاره ؛رغبة في دحض المزاعم الاستعمارية الواهية.

"ولم يقتصر اهتمام الشاعر على الأحداث السياسية في الجزائر فقط ، بل اهتمّ أيضا بسائر الوقائع السياسية التي كانت تحدث في البلدان العربية الأخرى " [1]

وهذا ما يؤكد على غيرة الشاعر واهتمامه بمصير ومستقبل سائر البلدان العربية والإسلامية.

[1] - رابح طبجون ، المرجع نفسه، ص46.

خاتمة

خاتـمة :

نقف في نهاية هذا البحث عند مجموعة من النتائج التي أفضت عنها الدراسة التطبيقية التي سلطت الضوء على عملية استخراج الأنساق الثقافية المختزنة في شعر محمد الصالح خبشاش الجزائري، بواسطة الكشف عن الطبقات العميقة للنصوص الشعرية قيد الدراسة، المتناولة، حيث خلصنا إلى ما يلي :

- تلعب الأنساق الثقافية دورا جوهريا في تشكيل البنية الدلالية والجمالية للشعر؛ إذ تسهم في كشف الخلفيات الاجتماعية والفكرية التي تنعكس في النصوص الشعرية، والشاعر بوعي، أو من دون وعي يُعيد إنتاج منظومة القيم والثقافة التي ينتمي إليها أو يتمرّد عليها، مما يجعل النص الشعري حقلا غنيًّا للتحليل الثقافي.
- تُظهر دراسة الأنساق الثقافية وتحليلها: أنّ النّصوص الشّعرية ليست مجرد تعبير جمالي عن الذات بل هي مرآة تعكس البنية الاجتماعية، والثقافية التي ينتمي إليها الشاعر سواء كان ذلك في شكل انسجام مع هذه الأنساق ، أو في شكل تمرُّد عليها، وبالتالي تظهر قصائد خبشاش من خلال مقاربتها، والبحث في محمولاتها الثقافية، كيف تتداخل الأنساق الوطنية والمقاومة والهوية لتنتج خطابا شعريا، ولا يمكن فصل الشعر عن السياق الثقافي الذي أنتج فيه.
- التزام الشاعر وتشبُّثه بالعقيدة الإسلامية رغبة في بعث الثقافة الدينية من جديد، ومحاولة تخليصها من مكائد المستعمر الفرنسية ، الذي روّج لثقافة الإلحاد مدة زمنية طويلة.
- تنبثق في شعر محمد الصالح خبشاش عدّة أنساق ثقافية تعمل بتكامل للتَّعبير عن قضايا الإصلاح ، والهوية ، والمقاومة ،فنجد النَّسق الديني، والاجتماعي ؛ ينتقدان الواقع، ومساءلة الهوية، فيوجِّه خبشاش نقدا لاذعا لنظام التعليم التقليدي ، ويطالب – بعفوية– بالتجديد لبلوغ مساعي أفضل .
- أمّا النَّسق السيَّاسي، فوظفه بإسهاب منقطع النَّظير لمَّا أراد إيقاظ الإحساس بالهويَّة، والانتماء الوطني، ومقاومة الاستعمار بفك شفراته ، ودحض مزاعمه : كما جاء في قصيدة (جزائرنا) ، و(فلسطين المنتصرة) .
- يبثُّ الشاعر رؤية جديدة عن حال المرأة الجزائرية لما تعرّضت للصراع السّلطوي، وتُركت بين قضبان المجتمع المتخلّف آنذاك فاستردّ لها حقوقها المهضومة وروّج لها

أفكارا تدعو إلى التحضّر والانفتاح، أو الاندماج في عالم يسعى إلى الرقي، والتفاعل مع كل ما هو جديد ، دون المساس بمكانتها التي أعزّها وشرّفها بها الدين الإسلامي الحنيف.

- إنّ محمد الصالح خبشاش بفكره النّازع إلى الإصلاح، والتغيير، المَيَّال إلى التجدُّد، والتّطور، متواجد باستمرار في الساحة السياسية المتنوّعة المواضيع في متنه الشّعري ، فكان مناهضا للاستبداد، والظلم، موجها غضبه لتلك الحركات الدّاعية إلى الانحراف، والتضليل بشتى أشكالها، والتي رسّخها الاستعمار الفرنسي بقوة الحديد والنار، أملا في القضاء على الهويّة الدينية، والروح الاسلامية من أبناء الجزائر الأحرار، فكان حِصنا منيعا أعلن مقاومة شرسة في كثير من أشعاره، سبق الإشارة إليها، فدافع عن الدين بهوادة وحفظ تراثنا العربي، ورسَّخ مبادئ الوطنية السّمحة.

كما امتدّ فكره المنير إلى بلدان عربية أخرى لما أثيرت فتن في البلد الشّقيق تونس من سفك للدماء واقتتال بين حِزْبَين متناحرين تجمعهم الأخوة ؛ فقد أنشد قصيدة بعنوان "وقائع تونس"، واهتمّ الشاعر كذلك محمد الصالح بالقضية الفلسطينية المضطهدة، فقد تفاعل مع بعض الأحداث، هزَّت أعماقه، نظم في هذا السياق عدة قصائد سبق ذكرها، وبالتالي وجه الشاعر كلامه للأشقّاء العرب رغبة في إثارة نخوتهم وتأجيج مشاعرهم القومية، واستنهاض هِمَمِهم وعزائمهم من أجل تخليصهم من محتل أبان عن نيته المدمّرة والهدّامة منذ وطأ أرض البلاد العربية.

وخلاصة القول، فإنَّ الشاعر محمد الصالح خبشاش بعزيمته وطموحه الأبدي قد استطاع من خلال جزالة الألفاظ، ودِقّة المعاني وسلاسة الأساليب؛ أن يصل إلى ما كان يصبو إليه ؛ ألا وهو الحفاظ على القيم والمبادئ الوطنية السّامية ، والموروث الاجتماعي الضَّارِب جذوره في تاريخ الجزائر العميقة، وانتهى به المقام إلى بعث حركة إصلاحية ترتكز على مبادئ ديننا الإسلامي الحنيف والتي تُسهم في بناء مجتمع أصيل ومتوازن قادر على الوقوف في وجه الأعداء والمعتدين.

قائمة المصادر والمراجع

1- القـرآن الكريم برواية ورش عن نافـع .

قائمة المصادر والمراجـع،

1- الإمام أبو الحسن مسلم، صحيح البخاري، دار الآفاق العربية ، 2005.

2- الحسن البصري، تفسير الألوسي.

3- سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين (1924)، حكم الألباني، صححه الألباني في "صحيح الجامع" (3522).

أ- المعاجم :

1. ابراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط المكتبة الإسلامية، اسطمبول، تركيا، Net.
2. ابن فارس، معجم مقياس اللغة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج5، 1979.
3. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص352.
4. محمد ابراهيم عبادة، معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، القاهرة.

ب-المراجع :

1. ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية، ط1، 1998، ص512.
2. أحمد سيد أحمد، المختار في الأدب والنصوص والنقد والتراجم الأدبية، للسنة الثالثة ثانوي، المعهد التربوي الوطني، الجزائر، 1985/1984
3. أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكاية، تر، أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، بيروت 1996.
4. أنور عبدالمالك، دراسات في الثقافة الوطنية، ط1، دار النشر، بيروت، 2003.
5. إيديت كريرويل، عصر البنيوية تر. جابر عصفور، دار سعاد الصباح، ط1، 1993.
6. زكي أحمد، الثقافة العربية، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
7. سمير خليل، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب، ط1، دار الجواهري، بغداد، لبنان، بيروت، 2012.
8. ضياء الكعبي، السرد العربي القديم، الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005.
9. عبدالرحمان عبدا لله، النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي، العراق أنموذجا، ط1، بغداد، في إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، 2013.
10. عبدالله الركيبي دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

11. عبدالله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981.
12. عبدالله الركيبي، دراسات معمقة في الشعر العربي الجزائري الحديث، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر 2012.
13. عبدالله الغذامي، قراءة في الأنساق الثقافية، العربية المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2008.
14. العماد توفيق، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، عالم الكتب عمان، ط1، 2009.
15. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، من البداية لغاية1962، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997.
16. مالك بن نبي، شروط النهضة، مشكلة الثقافة.
17. محمد عبدالمعبود الدولي مراكشي، علم الاجتماع عند تالكون بارسلون، ص102–103.
18. محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، شركة نشر المدارس، الدار البيضاء، ط4، 2000.
19. ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل النقد الأدبي .
20. نيس إيليوث، ملاحظات نحو تعريف الثقافة، دراسات في الأدب والثقافة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، د ط، 2000.
21. نيكولاس لوماس، مدخل إلى نظرية الأنساق ترجمة يوسف فهمي حجازي، منشورات الجمل، ط1، بغداد 2010.
22. يوسف عليمات، النسق الثقافي، قراءة ثقافية لأنساق الشعر العربي القديم، ط1، إربد، عالم الكتب الحديث، 2009.

ج–مذكرات ورسائل جامعية :

1. رابح طبجون، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه في اللغة العربية والدراسات القرآنية، سنة جامعية 2005–2006.

د–المجلات والمقالات :

1. إسماعيل خلباص حمادي، إحسان ناصر، التقد الثقافي ، مفهومه، منهجه، إجراءاته، مجلة كلية التربية، جامعة العراق، ع 13، 2013.
2. مجلة كفاية للغة والأدب، المجلد 1، العدد 2، ديسمبر 2021.
3. ملحة بنت معلث بن رشاد السحيمي، مجلة بحوث كلية الآداب، العدد 01،2020.

4. ابن عمر، النقد الثقافي النظرية والمنهج، المحاضرة الرابعة قسم اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان.
5. عبدالكريم طبيش، الأدب الجزائري بلغات أخرى، المحاضرة 2، 2025.

الملخص

الملخص:

تتناول هـذه المذكرة دراسة الأنساق الثقافية المضمَرة في شعر محمد الصالح خبشاش، بوصفه شاعرًا جزائريًا عبّر عن الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي من خلال رؤى شعرية متفاعلة مع محيطه. اعتمدت الدراسة منهج النقد الثقافي للكشف عن البُنى العميقة التي يحملها النص الشعري، والتي تُظهر علاقات السلطة، والهُوية، والدين، والعرف، والتقاليد.

واستخلصت المذكرة أن شعر خبشاش ليس فقط تعبيرًا جماليًا، بل هو ممارسة ثقافية مقاومة تعيد تشكيل الوعي الجمعي من خلال الشعر.

كما تخلص المذكرة أيضا إلى أن شعر خبشاش يمثّل صوتًا ثقافيًا يعبر عن هموم الأمة ويواجه التحديات المعاصرة عبر المزج بين الأصالة والحداثة.

وأخيرا يُقدِّم شعر خبشاش نموذجًا للشعر الجزائري الذي يتجاوز الوظيفة الجمالية ليكون مشروعًا ثقافيًا نقديًا، يعيد تعريف الذات في مواجهة التحديات. ومن خلال المزج بين الرمزية التراثية واللغة المعاصرة، يصبح شعره جسرًا بين الماضي والحاضر، معبـرًا عن هموم الأمة وآمالها؛ هذه الدراسة تُضيف بُعدًا تحليليًا مهمًا للأدب الجزائري، وتفتح آفاقًا جديدةً لقراءة النصوص الشعرية كمرايا تعكس التحولات الثقافية الكبرى.

Abstract :

This memorandum investigates the embedded cultural structures in the poetry of **Mohamed Salah Khabchach**, an Algerian poet whose works articulate the social, cultural, and political realities through poetic visions deeply engaged with his environment. The study employs **cultural criticism** as a methodological framework to uncover the profound structures within the poetic text, revealing dynamics of **power relations, identity, religion, customs, and traditions**.

The memorandum concludes that Khabchach's poetry transcends mere aesthetic expression, emerging instead as a **form of cultural resistance** that actively reshapes collective consciousness.

The research demonstrates how his verses embody fundamental patterns such as **resistance, freedom, and national belonging**, achieved through the employment of **mythological and religious symbolism**.

Ultimately, the study establishes Khabchach's poetry as a **cultural voice** that articulates the nation's concerns while confronting contemporary challenges through a synthesis of authenticity and modernity. His work presents a paradigm of Algerian poetry that surpasses aesthetic function to become a **critical cultural project**, redefining selfhood in the face of challenges.

By blending **traditional symbolism with contemporary language**, his poetry serves as a bridge between past and present, giving voice to the nation's struggles and aspirations.

This study contributes a significant analytical dimension to Algerian literature, opening new perspectives for interpreting poetic texts as reflective mirrors of major cultural transformations. It positions Khabchach's oeuvre as a vital model of resistance literature that negotiates identity while preserving cultural memory.

فهرس المحتويات :

العـنـوان	الصفحة
مقدمة :	أ-د
الفصل الأول: " الأنساق الثقافية في شعر محمد الصالح خبشاش "	
1- النسق :	**1**
1-1- مفهوم النسق (لغة اصطلاحا)	**1**
أ- لغة :	**1**
ب-اصطلاحا :	**1**
2- **الثّقافة :**	**2**
2-1- مفهوم الثّقافة (لغة / اصطلاحا) :	**2**
3- **النّقد الثقافي :**	**5**
3-1- مفهوم النقد الثقافي :	**5**
3-2- نشأة وتطور النقد الثقافي :	**6**
4- **النسق الثقافي :**	**12**
1.4. مفهوم النسق الثقافي :	**12**
2.4. أنواع الأنساق الثقافية :	**14**
5- **آليات النقد الثقافي :**	**16**
أولا : الوظيفة النسقية	**17**
ثانيا : المَجَاز(المجاز الكُلِّي)	**18**
ثالثا : التورية الثقافية	**18**
رابعا : الدلالة النسقية	**20**
خامسا : الجملة الثقافية	**21**
سادسا : المؤلف المزدوج	**21**
الفصل الثاني : الأنساق الثقافية في شعر محمد الصالح خبشاش - أنموذجا -	
1- النسق الديني :	**26**

الـفـهـــرس :

2- نسق المرأة	30
3- النسق الاجتماعي	33
4- النسق السياسي	37
خاتـمة	45
قائـمة المصادر والمراجع	48
الملخص	52
الفـهرس	-